جامـــعـــــة الشهـــيد زيـــان عاشـــــور

كليـة العلـوم الاجتماعيـة والإنسانيـة

قســـم العلـــوم الإنسانـــية

شعبـــة التاريـــخ

تخصص : ماستر "مقاومة وحركة وطنية"

مطبوعة في مقياس

مـــدارس تاريخيـــة

السداسي الأول

إعداد الدكتور : مصطفى داودي (أستاذ محاضر "أ")

أستاذ محاضر أ

الموسم الجامعي:

1440 – 1441هـ /2019 – 2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

دراسة التاريخ والكتابة فيه يتطلب منا تأسيسا قويما من شأنه أن يجعل من تلك الدراسة والكتابة ترتقي إلى مصاف العلمية التي من أبرز سيماتها الإقناع ، وما كان لهذا أن يحدث في الدراسات التاريخية لولا أنها مرتّ بمراحل فارقة منذ بدايات ظهور الكتابة وإلى أن أصبح التاريخ علما له قواعده وأسسه ونظرياته.

من هذا الباب بات على دارس التاريخ قبل ولوجه لدراسة الأحداث التاريخية والتعمق فيها بالتحليل والنقاش واستخلاص النتائج وفهم التطورات ومستقبل الحركية التاريخية للشعوب وما ينعكس على ذلك في حياتها على شتى الصعد والمجالات ، عليه ابتداء أن يتوقف بعمق على فهم تطور الكتابة التاريخية من البدايات وما نتج عنها مع مرور الزمن من ضرورة التحكم في آليات الدراسة قبل التعمق في الأحداث ، لأنه كلما كانت الآليات قوية قويمة ، كلما كان فهم الأحداث أقوى ، والكلام عن الآليات هنا هو تلك المناهج التي يتم بها الدراسة ، وإن أعظم آلية في دراساتنا التاريخية هو المنهج التاريخي الذي ينبغي التحكم فيه ابتداء حتى نقول أننا تحكمنا في دراسة وفهم الأحداث التاريخية .

بناء على ما ذكرنا بات على دارس التاريخ ابتداء أن يتعمق في دراسة تلك المدارس التاريخية التي ظهرت منذ القديم وحتى عصرنا الحالي حتى يكون في صورة تطور تلك الكتابة وتطور آليات دراساتها من خلال قواعد كل مدرسة في فهمها وآليات دراستها للحدث التاريخي وكيف بنت تلك المدارس نظرياتها التاريخية التي فاق تأثيرها التاريخي ميدان الدراسة ، لينعكس على مختلف مناحي الحياة .

ودراستنا في هذا السداسي من خلال مقياس المدارس التاريخية ، سوف لن يكون عميقا عمق وشمولية المقياس المذكور لأنه لن يكون في وسعنا من خلال سداسي قصير الزمن ، تتبع كل المدارس التاريخية التي ظهرت منذ بداية ظهور الكتابة ، بل حتى الوقائع تؤكد أنه داخل تلك المدارس التاريخية ظهرت مدارس أيضا ضمنية لها خصوصياتها وقواعدها ، لذلك سنحاول من خلال هذه المحاضرات الأكاديمية الوقوف على أبرز المدارس التاريخية التي كان لها تأثيرها الأقوى في الفهم والبناء التاريخي وهذا لا ينفي أهمية المدارس الأخرى ولا ينقص من قيمتها ، ولا يعني لنا كمتكونين في الدراسات التاريخية الاكتفاء بما سندرس ، بل يستوجب علينا تأكيدا ضرورة الوقوف على المدارس الأخرى من باب الجهد الشخصي ، لأنه ما منعنا على تناولها إلا الضيق الزمني للسداسي ولو كان المقياس سنويا لتناولنها كلها وعسانا نصل إلى ذلك .

أما بخصوص ما سنتناوله من مدارس ، فإننا سنأخذ بعين الاعتبار البعد الشرقي والبعد الغربي كأبعاد جغرافية بما تحمله من خصوصية تتعدى الجغرافيا لها التأثير الأبلغ على تطورها وتشكل مضامين وأسس بنائها ، وبما شكلته أيضا من تأثير بالغ على تطور الكتابة التاريخية .

لأجل التعمق في ما ذكرنا أضع بين أيديكم محاور محاضراتنا لمقياس (المدارس التاريخية) لهذا السداسي والتي ستكون وفق الآتي :

المحاضرة الأولى: مفهوم مصطلح التاريخ

المحاضرة الثانية : مواصفات المؤرخ

المحاضرة الثالثة : المدرسة التاريخية العربية (مرتكزاتها الفكرية ، ومنهجها العلمي)

المحاضرة الرابعة: عوامل وأسس تطور الكتابة التاريخية في عصر النهضة الأوروبي(15 .19م)

المحاضرة الخامسة: المدرسة المادية التاريخية (مرتكزاتها ، مفاهيمها واتجاهاتها)

المحاضرة السادسة: مدرسة الحوليات الجديدة (ظروفها ومراحلها)

المحاضرة السابعة: المدرسة الوثائقية التاريخية

المحاضرة الأولى

مفهوم مصطلح التاريخ

الوقوف على المدارس التاريخية من حيث ظهورها ومنهجها في القراءة والفهم والكتابة التاريخية ، يستدعي منا ابتداء الوقوف على مصطلح التاريخ باعتباره الركيزة الأساس التي شعت منها تلك المدارس ، والغاية المبتغاة لتلك المدارس في دراسة الأحداث التاريخية ، وأن الوقوف على هذا المصطلح من شأنه أن يزيح الكثير من الغموض حوله سواء من حيث دلالة المصطلح أو المضامين المرادة من خلاله ، وصولا إلى المنهج الأصيل الذي يمكن من خلاله فهمه وتدوينه .

وحتى نقف بعمق على هذا المصطلح سنتناوله وفق مفهومه اللغوي ثم الاصطلاحي :

1 . المعنى اللغوي للتاريخ:

كلمة تاريخ تثير إشكالات متعددة حول معناها ومدلولها ، سواء في اللغة العربية ، أو في نظائرها في اللغات االأخرى.

حيث أنهـا جاءت في اللغة العربية تعني عدّة أشياء،أوضحها شمس الدين السخاوي(ت 902هـ/1497م) في كتابه (الإعلان بالتوبيــخ لمن ذمّ التاريخ)، إذ يقـول:(التاريخ في

اللغة هو الإعلام بالوقت ، يقال أرخت الكتاب وورخته ، أي بينت وقت كتابته ، وقال الجوهري:(التاريخ تعريف الوقت و التوريخ مثله ، يقال أرخت وورخت ، وقد فرق الأصمعي بينهما فقال:(بنو تميم يقولون ورّخت الكتاب توريخا ، وقيس تقول أرخته تأريخا ، وهذا يؤكد كونه عربي) ، وقيل إنه ليس بعربي محض ، بل هو معرب مأخوذ من (ماه روز) بالفارسية ، (ماه) تعني القمر ، و (روز) تعني اليوم[1].

ومما زاد الجدل في أصل هذه الكلمة ومعناها هو أن هذا المصطلح لم يرد إلينا لا في القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة ، ولا فيما وصل إلينا من الشعر الجاهلي ، وحينما نتتبع الجدل حول أصل هذا المصطلح نقف على اتجاهين :

اتجاه يقول بأن أصل هذا المصطلح ليس بعربي ، و اتجاه آخر يؤكد أصله العربي ، وأشار إلى ذلك الجواليقي بقوله[2] :(يقال أن التأريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض ، و أن

1 ـ شمس الدين السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ ، تح: فرانز روزنثال ، تر: صالح أحمد العلي ، ط.1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1986 ، ص.16 ـ 17 / ـ أبو منصور الجواليقي ، المعرب من الكلام الأعجمي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، ط.8 ، مطبعة دار الكتب ، 1969 ، ص.137 ـ 138

2 ـ أبو منصور الجواليقي ، المصدر السابق ، ص.137 ـ 138 / ـ ويدجري آلبان ، التاريخ وكيف يفسرونه ، من كنفوشيوس إلى توينبي ، ترجمة عبد العزيز توفيق ، ج.1 ، القاهرة ، 1996 ، مقدمة المترجم ، ص.9

المسلمين أخـذوه عن أهــل الكتاب ، وقيل أنه عربي ، واشتقاقــه من (الإرخ) وهو ولد البقرة الوحشية إذا كانت أنثى ، بفتح الهمزة و كسرها ، كأنه شيئ حدث كما يحدث الولد).

2 ـ المعنى الاصطلاحي للتاريخ :

من خلال المعاني التي حملتها كلمة تاريخ جاء المفهوم الاصطلاحي متدرجا بحسب تدرج وتعمق الدراسات التاريخية عبر فترات التاريخ المختلفة .

فمنذ ظهور الإسلام كان يفيد معناه في البحث في أحداث الماضي عن طريق المشاهدة والتحري والضبط وهذا ما يؤكده سفيان الثوري حينما قال:(لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ).

فكان بذلك أغلب المؤرخين العرب يركزون على سرد الوقائع ورواية الأخبار وضبط تواريخها دون الاهتمام بالتعرف على المنطق الذي تتدرج ضمنه الأحداث ، وقد تجلى ذلك في كتابات بن الأثير والسخاوي والسيوطي وغيرهم .

إلاّ أن مفهوم المؤرخين العرب للتاريخ اكتمل وأصبح أقرب الى التعريف الحديث لعلم التاريخ المعتمد على النظرة العلمية في تقصّيه وملاحظاته للأحداث ، مع كل من البيهقي وبن خلدون ، خاصة هذا الأخير الذي ارتقى بالتاريخ الى مستوى كبير في الفهم لم يسبق اليه ، وقد حدد له مجاله بـ: **(اعلم أنّ فنّ التّأريخ فنّ عزيز المذهب جمّ الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم. والأنبياء في سيرهم. والملوك في دولهم وسياستهم. حتّى تتمّ فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدّين والدّنيا فهو محتاج إلى مآخذ متعدّدة ومعارف متنوّعة وحسن نظر وتثبّت يفضيان بصاحبهما إلى الحقّ وينكّبان به عن المزلّات والمغالط لأنّ الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرّد النّقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السّياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنسانيّ ولا قيس الغائب منها بالشّاهد والحاضر بالذّاهب فربّما لم يؤمن فيها من العثور ومزلّة القدم والحيد عن جادّة الصّدق وكثيرا ما وقع للمؤرّخين والمفسّرين وأئمّة النّقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرّد النّقل غثّا أو سمينا ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على**

طبائع الكائنات وتحكيم النّظر والبصيرة في الأخبار فضلّوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط ولا سيّما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات إذ هي مظنّة الكذب ومطيّة الهذر ولا بدّ من ردّها إلى الأصول وعرضها على القواعد.)

وبتتبع التعريفات المتداولة لعلم التاريخ يمكن أن نجعلها تتكامل مع بعضها لتؤلف في مجموعها تعريفا شاملا لعلم التاريخ تجعله يتميز في مفهومه بـ:

1 ـ معرفة حقيقة الوجود منذ نشأته الأولى وحتى الوقت الحاضر

2 ـ هو الصورة الفكرية الحاضرة ومؤشر نشاط الفكر الإنساني في ماضيه ، منذ أن بدأ يعبر عن وجوده بالحفر وحتى زمن الحاسوب .

3 ـ هو دراسة جهود الإنسان في الماضي في مظاهرها المختلفة .

4 ـ حوار بين الماضي والحاضر وبين ال؟اجيال في مختلف الحقب ، وهو حوار بين الإنسان والزمان والمكان ، وبين المؤرخ والقارئ باعتبار أن التاريخ ذاكرة العصور التي تتناقلها الأجيال .

فالتاريخ إذن هو دراسة الحوادث ، أو هو الحوادث نفسها ، والحوادث جمع حادث، والحادث هو كل ما يطرأ من تغيير على حياة البشر، وكل ما يطرأ من تغيير على الأرض متصلا بحياة البشر ، لنخلص إلى أن التاريخ هو الزمان وهو وعاء الخبرة البشرية ، والعلم الخاص بالجهود البشرية[3] .

وهو كما يراه هيغل : الحياة البشرية في امتدادها الزمني على الأرض ، وما يحكم هذه الحياة من عوامل[4] ، في صياغ ضبط الأحوال وما يتصل بها من حوادث و وقائع ، وأما موضوعه فهو الإنسان و الزمان و مسائله و أحوالهما المفصلة للجزئيات[5].

فالتاريخ إذن هو فرع من معارف الفروع البشرية ، قوامه التحري عن حياة المجتمعات في الماضي و التي يصل إليها الباحث التاريخي وفق منهج بحث خاص هو منهج البحث التاريخي، ومن التعريفات التي ظلّت سائدة حتى نهاية القرن الثامن عشر ميلادي هي: (

3 ــ محمود الحويري ، منهج البحث في التاريخ ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، 2001 ، ص.7 / حسين مؤنس ، التاريخ والمؤرخون ،ص.21،22

4 ــ عبد العليم عبد الرحمن خضر ، المسلمون وكتابة التاريخ ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي و المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1995 ، ص.23

5 ــ شمس الدين السخاوي ، مصدر سابق ، ص.18 ،35

التاريخ هو سجل الأحداث الماضية)[6] ، واتسع مدلول التاريخ إلى الجوانب الحضارية بعدما أخذا الشق السياسي اهتمامه الأكبر ، من خلال تعبيره عن أحوال المجتمعات الماضية وتطورها ونموها وازدهارها أو تدهورها وانحلالها ، وعلى ضوء هذا المفهوم درج المؤرخون على تقسيم التاريخ إلى نوعين[7] :

التاريخ السياسي : والذي يهتم بسرد الأحداث السياسية كالحروب و أخبار الملوك و الحكام وتعاقب السلالات الحاكمة وكل شأن من شؤون السياسة و الحكم، فهو إذن جماع أحوال البشر ما يقع منهم وما يقع عليهم ، و الإنسانية ترتبط بماضيها ارتباطا وثيقا ولا تستطيع من هذا الماضي فكاكا[8] .

التاريخ الحضاري : ويهتم بتطور النظم و الحركات الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية و الدينية مع التأكيد على ترابط كليهما ارتباطا وثيقا ومؤثرا ، وهو ما يجعل لمؤرخ لا يبحث في الوقائع و الأحداث فحسب ،ولكن في المؤثرات المختلفة التي ساقتها ، فالتاريخ و إن كان

6ـ كامل حيدر ، منهج البحث الأثري و التاريخي، ط,1 ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1995 ، ص.81

7 ـ كامل حيدر ، المرجع السابق، ص.82

8 ـ حسين فوزي النجار ، التاريخ والسير ، المكتبة الثقافية ، 1974 ، ص.9

أحداثا أو وقائع غبرت إلاّ أن غايته هي جلاء الحاضر و الكشف عن حقيقته ، فالمؤرخ لا يقص خبر الأحداث فحسب بل يفلسفها ويتحرى[9] العلل في وقائعها و النزعات التي تسوقها ليفسر على ضوئها أحداث الحاضر الذي يعيشه .

وكل ما ذكرنا هو جوهر ما برع فيه بن خلدون حينما نقل التاريخ إلى مراتب عليا من حيث الفهم والمقصد حتى صار علما بل ومن أبلغ العلوم في دورات الحضارة ، حيث يقول في تعريفه للتاريخ :(التاريخ هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل ، وذكر الأحوال العامة للآفاق و الأجيال والأعصار ، فهو إذن خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم ، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنّس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض ، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها ، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال)[10]

9 ــ حسين فوزي النجار ، التاريخ والسير ، المكتبة الثقافية ، 1974 ، ص.12 ـ 13

10 ــ عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، تحقيق هيثم جمعة هلال ، ط.1 ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ، 2007 ، ص. 48 ، 53

مصطلح التاريخ عند الأوروبيين:

الكلمة المرادفة لمصطلح (التاريخ) في اللغات الأوروبية المعاصرة يعود أصلها إلى كلمة (إيستوريا) اليونانية ، والتي استخدمها (هيرودوت) (484 ـ 425ق.م) عنوانا لكتبه التسعة ، وهذه الكلمة تعني الاستفسار أو التقصي من أجل الفهم ، وهنا المعنى يتركز في خاصيتين هما المشاهدة و التساؤل .

ويعود التراث التاريخي لدى الغرب الأوروبي في معناه الواسع إلى كتابات هيرودوت ومن بعدع (ثوكيد يديس) (455 ـ 400 ق.م) وبولوبيوس (198 ـ 117 ق.م) وليفيوس (59ق.م ـ 17م) ، وتاكيتوس (55 ـ 125م) ، وبلوتارخ (50 ـ 120م) ، وهؤلاء هم الذين كتبوا تاريخ الفترة الكلاسيكية اليونانية والرومانية .

ومن كلمة (إيستوريا HISTORIA) اليونانية اشتقت الكلمات الأوربية الحديثة مثل كلمة (HISTORY) الإنجليزية ، وكلمة (HISTOIRE) الفرنسية .

المحاضرة الثانية : مواصفات المؤرخ

الصفات الأساسية في المؤرخ :

لقد رأينا فيما سبق كيف أن التاريخ يكتسي أهمية بالغة للمجتمع بالنظر لما يمثله من ذاكرة لا يقوم البناء المجتمعي والإنساني عموما إلاّ من خلالها ، وبالتالي فإن البحث فيه يكتسي من الصعوبة ما يكتسي بالنظر لتداخله مع الإنسان وما يحيط ويتصل به بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، ومن جهة أخرى فإن البحث موهبة تمنح لبعض الناس ولا تمنح لآخرين ، وليس دائما الاطلاع الواسع ، وجمع المادة وترتيبها ، هي عناصر كافية لكتابة بحث ، بل لابدّ من توافر المقدرة على البحث ، لأن الجمع و الترتيب شيء و التفسير وإبداء الرأي حولها شيء آخر[11].

وبالتالي فإن البحث يشترط في صاحبه مواصفات بالغة الأهمية لا يقوم البحث التاريخي إلاّ بتوفرها ، وهي التي تجعل صاحبها قادرا على دراسة التاريخ وكتابته ، ومن هذه المواصفات ما هو عام ومنها ما هو خاص :

حيث في الأولى جميع الباحثين وفي كل التخصصات وجوهرها **حب الدراسة** لأن حب ما تريد أن تنجز هو الذي يهون عليك المصاعب الملازمة لطريق البحث (كالظروف الخاصة وندرة المصادر وصعوبة الوصول إليها ، وغموض الوقائع واختلاطها ....الخ) ويبعث فيك

11 ــ أحمد شلبي ، كيف تكتب بحثا أو رسالة ، ط.6 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1968 ، ص.10 ـ 11

روح التحدي وقوة الإرادة لاستكمال مشروعك مهما كانت الظروف دون استعجال وتسرّع حتى لا تطمس الحقيقة التاريخية

وعدم التحيز، وذلك بالابتعاد عن العواطف والاعجاب أو الكراهية لطائفة أو فرد دون طائفة أخرى وفرد آخر ، سواء كانت جماعة أو أمة أو حزب أو فرقة أو إقليم أو مدينة ....الخ[12].

ويرى بوليبيوس أن التاريخ يجب أن ينزه عن الأغراض التي تشوه الحقائق ، وإذا ما وقف الإنسان موقف المؤرخ فعليه أن يتخلى رأسا عن جميع الاعتبارات كحب الإنسان لصديقه وكرهه لعدوه ..... وعليه في بعض الأحيان أن لا يتورع عن مدح أعدائه وذم أصدقائه ... فالتاريخ يفقد كل أهميته إذا ما انتزعت منه الحقيقة ولا يبقى منه إلاّ قصة لا قيمة لها ، كما أنه ليس من واجب المؤرخ إثارة دهشت القارئ بما يقدمه من مبالغات وأساطير ، وإنما المؤرخ الحق هو الذي يقدم الحقائق الخالصة مهما كان نوعها أو مضمونها كما حدثت تماما دونما تحريف أو تزوير أو مبالغة)[13].

12 ــ محمود الحويري ، مرجع سابق، ص.28 / حسنين محمد ربيع ، محاضرات في علم التاريخ ، القاهرة ، 1996 ، ص.36 ـ 37

13 ــ محمود الحويري ، المرجع السابق ، ص.29./ نور الدين حاطوم ، مرجع سابق ، ص.100 ،122

ويمكن أن نعدد مجمل المواصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المؤرخ في:

البعد عن حب الشهرة و الظهور وتكريس جهد المؤرخ في العمل العلمي المجرد من كل تلك الأطماع ، حتى لا تسري إليه عوامل تخرجه عن البحث العلمي الهادف للاقتراب من الحقيقة كهدف سام للمؤرخ .

وفي ذلك يقول ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت 702هـ/ 1302م) وهو في صدد ذكر الضوابط التي ألزم بها نفسه وهو يبحث في التاريخ بقوله: (والتزمت فيه أمرين : أحدهما ألاّ أميل فيه إلاّ مع الحق ، ولا أنطق فيه إلاّ بالعدل ، وأن أعزل سلطان الهوى ، وأخرج من حكم المنشأ و المربى (اعتبارات البيئة) ، وأفرض نفسي غريبا منهم وأجنبيا بينهم)[14].

كما اشترط بن خلدون في المؤرخ أن يكون عالما بقواعد السياسة وطبائع الموجودات ، واختلاف الأمم والبقاع و الأعصار في السير والأخلاق و العوائد والنحل و المذاهب وسائر الأحوال ، والإحاطة بالحاضر من ذلك ، ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف ، وتعليل المتفق منها و المختلف ، والقيام على أصول الدول والملل ، ومبادئ ظهورها ، وأسباب حدوثها ، ودواعي كونها ، وأحوال القائمين بها وأخبارهم ، حتى يكون مستوعبا لأسباب كل خبره ، وحينئذ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد و

14 ــ محمود الحويري ، مرجع سابق ، ص.31./ محمد عبد الغني حسن ، علم التاريخ عند العرب ، القاهرة ، 1961 ، ص.37

الأصول ، فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحا وإلاّ زيّفه واستغنى عنه.)[15] ، أما المؤرخ شمس الدين السخاوي (ت902هـ/ 1497م) فيشترط في المؤرخ الصدق ، وإذا نقل يعتمد على اللفظ دون المعنى ، وألا يكون ما نقله مما أخذه في المذاكرة ثم كتبه بعد ، وأن يسمي المنقول عنه ، فهذه شروط أربعة فيما ينقله ، أما ما يقوله من قبل نفسه وما عساه يطول فيه من المنقول بعض التراجم دون بعض ، فيشترط فيه أن يكون عارفا بحال المترجم علما ودينا وغيرها من الصفات ، وأن يكون حسن العبارة عارفا بمدلولات الألفاظ حسن التصوير بحيث يتصور حين ترجمة الشخص جميع حاله ، ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عنه ولا تنقص ، ، وأن لا يغلبه الهوى فيخيل إليه هواه في الإطناب في مدح من يحبه والتقصير في غيره ، وذلك بأن يكون عنده من العدل ، ما يقهر به هواه ويسلك معه طريق الإنصاف .)[16].

ومن أهم المواصفات التي ينبغي توافرها في المؤرخ:

ـ **امتلاك حاسة النقد** : وذلك بعدم التأثر بالمسلمات المكتسبة أو الموجودة و الشائعة ، وأن ينقد نفسه ويتقبل النقد من الآخرين[17]

15 ـ عبد الرحمن بن خلدون ، مصدر سابق، ص.44.

16 ـ السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ، ص.73 ـ 74.

17 ـ محمود الحويري ، مرجع سابق، ص.199 ـ 200 ./ فؤاد زكريا ، التفكير العلمي ، القاهرة ،1996 ، ص.268 ،283.

ـ **الالتزام بالموضوعية** : والتي يقصد بها في مفهومها العام معالجة الظواهر باعتبارها أشياء لها وجود خارجي مستقل عن وجود الإنسان ، ويقال بأن الشيء الموضوعي هو ما تتساوى علاقته بمختلف الأفراد المشاهدين مهما اختلفت الزاوية التي يشاهدون منها والمقصود بها في البحث التاريخي ، الوصول إلى الحقيقة دون تدخل للعوامل الشخصية للباحث ، فلا يشوبها بنظرة ضيقة أو بتحيّز خاص .

وينبغي أن نفرق بين الموضوعية في العلوم الطبيعة والتي تظهر في المعمل الكيميائي بعد التحليل والتركيب ، وعلى العكس من ذلك فإن الموضوعية في العلوم الإنسانية والاجتماعية تتعلق بالكون ككل ، وهي أمر نسبي .

وهذا ما يجعلنا نتساءل باستطاعة المؤرخ أن يكون موضوعيا بحيث ينكر نفسه كل الإنكار ، ويمسك في التعبير عن وجهات نظره الخاصة مثلما يصرح بذلك أصحاب النزعة الموضوعية المطلقة ؟ أما أن الأمر معقد تعقد واقع الظاهرة التاريخية التي جوهرها الإنسان بكل ما يحمله من مشاعر وترابط وثيق مع ما هو خارجه ؟ فلا يستطيع المؤرخ أن يتخلص من ذاتيته ويتخلى عن معتقداته ومواقفه الفكرية مثلما يقول أصحاب النزعة الذاتية؟ أم مثلما أراد أن يوازن بينهما فريق ثالث الذي أكد على ضرورة توافر الموضوعية التامة ، إلاّ أنه لا يمكن إلغاء شخصية المؤرخ الذاتية بما فيها من أحاسيس ومشاعر ، والمؤرخ الناجح في نظر هؤلاء هو الحريص على أن لا تطغى كفة عن كفة .

فالمؤرخ هو بمثابة المحقق والقاضي الذي لا يكون حكمه أقرب إلى العدل ، إلاّ بقدر المستوى الذي يصل إليه البعد عن التحيز و الهوى (روح النقد : وهي من أهم صفات المؤرخ بحيث لا يتأثر بالمسلمات المكتسبة أو الموجودة و الشائعة ، وأن ينقد نفسه ويتقبل النقد من الآخرين[18] .

وذكر سيد قطب بأنه لكي يفهم الإنسان الحادثة ويفسرها ، ويربطها بما قبلها وما تلاها ، ينبغي أن يكون لديه الاستعداد لإدراك مقومات النفس البشرية جميعها : روحية وفكرية وحيوية ومقومات الحياة البشرية جميعها : معنوية ومادية ، وأن يفتح روحه وفكره وحسه للحادثة ويستجيب لوقوعها في مداركه ولا يرفض شيئا من استجاباته لها إلاّ بعد تحرج و تمحيص ونقد.

وقد بنى هذه المواصفات كون أن التاريخ في نظره ليس هو الحوادث ، إنما هو تفسير هذه الحوادث ، واهتداء إلى الروابط الظاهرة و الخفية التي تجمع بين شتاتها ، وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات ، متفاعلة الجزئيات ، ممتدة مع الزمن و البيئة امتداد الكائن الحي في الزمان و المكان[19] .

18 ــ محمود الحويري ، مرجع سابق ، ص.199 ـ 202 / حسن عثمان ، منهج البحث التاريخي ، ص.16)

19 ــ سيد قطب ، في التاريخ فكرة ومنهاج، دار الشروق ، القاهرة ، 2001 ، ص.37

المحاضرة الثالثة : المدرسة التاريخية العربية (

مرتكزاتها الفكرية ، ومنهجها العلمي)

أولاــ واقع التفكير العربي قبل ظهور الإسلام وانعكاسه على بنية التفكير التاريخي :

جبل الإنسان منذ وجوده على هذه الأرض وتدرّجه زمنيا فيها على الولوع والاستئناس بما حصل له في الماضي أو بسيرة الأقوام الذين سبقوه ، وبذلك فإن المتأمل في سنن الله لبني البشر يجد بأن التاريخ جزء جوهري من تلك السنن ، لا يمكن للإنسان أبدا أن يشق مسار الحياة دون أن يكون ذلك التاريخ جزء من قواعد الانطلاق في ذلك المسار ، لذلك لا نجد شعب من الشعوب تغاضى عن التاريخ من حيث التناول والتداول ، ومن تلك الشعوب التي كان التاريخ جزء من منظومتها الحياتية العرب الذين اهتمّوا به وتدارسوه وألَّفوا فيه ؛ بل وكانت بلادهم مهدا للكتابة الإنسانية انطلاقا من وادي الرَّافدين، ووادي النِّيل، والعربيَّة الجنوبيَّة (بلاد اليمن)، وتدمر، والأنباط، والمناذرة، ولاحقا في نجد والحجاز.

ولكن قبيل نزول وحي السماء على سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام كان العرب يعيشون عصر جاهليا بالنظر لصفات السفه والطيش والعصبية والوأد وغيرها من الصفات ، لكن هذا لم يمنع وجود معالم تحضر ومكارم أخلاق ميّزت العرب عن سائر الشعوب ، ومن ذلك الجانب العلمي الذي رغم بساطته إلاّ أنه كان حاضرا ووفق أسس ومناهج قام عليها خاصة المنهج التجريبي ، وتجسّد ذلك في علم القيافة والنجوم ، والشعر وما كان يعقبه من مسابقات وكتابة ونشر وإعلام فيما يعرف بالمعلقات مثلا ، ولكن لم يندفع العرب بعيدا في تطوير هذه المكتسبات والمنتجات بما في ذلك تطوير الكتابة وتنويعها بحكم طبيعة هذه البلاد ، ونمط العيش الذي اعتاد عليه العرب في هذه المرحلة والذي أبعدهم عن نمط عيش

الحواضر والقائم على عدم الاستقرار وبالتالي عدم تهيئة مجتمع متحضر يهتم بالكتابة وتطوير المعارف ، وكانت أنماط الثقافة في مجملها ترتبط عندهم بشكل أكبر بالتداول الشفهي القائم على قوة الذاكرة ، والتي كانت الأساس الأكبر والمصدر الأبرز في التباهي العربي خاصة في مجال تداول الحوادث التاريخية التي كانت جزء محوريا في مسار العيش عندهم في الجزيرة العربية ، حتى عدّ أصل العلوم عندهم[20] ، وقد كان هذا الفكر التاريخي عندهم قبل الإسلام يسير في مسارين أساسين هما: أيام العرب" و"الأنساب"، فضلاً عن القصص التاريخي أو شبه التاريخي الذي تناقلوه أبا عن جد أو من خلال مجالس السمر ، حيث كانت كل قبيلة تحفظ أنسابها وتتفاخر بها حتى لا تختلط بأنساب غيرها ، وهنا اختصر التاريخ في الأنساب ، وقد أشار إلى ذلك كل من النويري في (نهاية الأرب في فنون العرب) ، والقلقشندي في (صبح الأعشى) ، أما الأيام فكانت أبرز أنماط المعرفة التاريخية عند العرب قبل رسالة الإسلام الخاتمة ، وكانت تشكل الوعاء الذي تَحفظ فيه القبيلة ذكرياتِها ، وفيه كانت تحفظ القبيلة أيام حروبها ومعاركها ، بهدف الإمتاع بمآثر أسلافهم دون البحث عن الحقيقة التاريخيَّة وفق مناهج الإقناع التي طوروها فيما بعد ظهور الإسلام.

ورغم ارتكاز العرب على هذا التراث الشفوي بشكل كبير ، إلاّ أن ذلك لا يمنع من وجود نمط للكتابة التاريخية ، يقوم على ما يعرف بالنقوش التاريخية ، والتي دوّن فيها الملوك

20 ـ عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1981 ، ص.3

حروبهم وأعمالهم ، وقد أشار إلى ذلك الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) ، ونشوان الحميري في معجمه اللغوي ، حينما أظهرا تلك النصوص التاريخية في بعض موادها المتعلقة بأسماء الآلهة وأنواع القرابين وأسماء القبائل والأفراد ، وبعض المعلومات عن القوانين التي حكمت الناس آن ذاك[21].

ومنه نخلص إلى أن التفكير التاريخي العربي قبل الإسلام لم يكن مؤسسا وفق مناهج مقنعة وأهداف واضحة بل كان في جلّه مرتبطا بالأسطورة والخرافة و التباهي ، ولم يكن يحمل قيمة اجتماعية لها دورها في التشكل المعرفي والبناء المجتمعي ، لكن شاءت قدرة الله بعد مدّة زمنية أن يتفرّد العرب على سائر الشعوب في الإبداع التاريخي من حيث التنظيم والاهتمام والأسس والقواعد المنهجية ، بل وصلوا فيه إلى درجة العلمية ، وهو ما يطرح سؤلا جوهريا :

ما المستجد عند العرب حتى ينتقلوا بالفكر التاريخي من الخيال والأسطورة إلى المنهج والعلمية؟

ثانيا ـ مساهمة الإسلام في التأسيس البنيوي لمناهج البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية:

21 ـ بتار ولد العربي ولد معط الله ، نشأة التاريخ عند العرب المسلمين ، مجلة الفسطاط ، 2006 ، ص.2.

يعدَّ ظهور الإسلام أكبر منعطفًات العرب عبر تاريخهم ، بالنظر لما شكّله لهم من نقلة نوعية في شتى المجالات وبه انتقلوا من الانزواء ورعاية الغنم والإبل ، إلى الاندفاع وتحمّل رسالة الأمم ، للتغير بموجب ذلك ، مسارات حياتِهم وأسُس تفكيرِهم، وتستبدل عقائدَهم المنحرفة والضَّالَّة بعقيدةٍ واضحة ذات قوام متين ، تكوّنت بناء عليها الأسس البنائية الفكرية الجديدة التي شكّلت القاعدة الأبرز لتوحُّدهم بعد حياة التبعثُر والشَّتات التي كانوا يعيشونَها في ظلِّ القبليَّة، وما فرضته طبيعتها عليْهم من مخاصمات وحروب ودماء.

فالوحي القرآني حرر ذلك الفكر العربي المغلق من مشدّات العصبية الضيقة والانزواء إلى سعة الكون وترابط الإنسان بعضه ببعض مهما بعدت المسافات ، لأن المنشأ واحد والمآل واحد ، والغاية واحدة ، وهو ما مسّ ما نحن في صدد الكلام عليه فيما يتعلق بالفكر التاريخي ، الذي انعكست عليه تحررا تلك الهزّات التي أحدثها النص القرآني في ذلك الفكر ، وبناء عليه فإن تأسيس الوعي التاريخي في ظل الإسلام قد ارتبط بمستويين رئيسيين:

أ ـ المستوى الفكري المرتبط بالعقيدة الإسلامية ذاتها أو ما يمكن أن نطلق عليه البناء النظري الإسلامي للعقل التاريخي العربي .

ب ـ المستوى الواقعي على صعيد المستجدات والمتمثل في الظروف الجديدة التي فرضت نفسها في عصر ما بعد نزول وحي السماء.

أ ــ البناء النظري الإسلامي للعقل التاريخي عند العرب:

البناء الإسلامي للعقل التاريخي عند العرب تشكّل بناء على إشارات الوحي القرآني ، التي طرحت مفهوما جديدا للتاريخ البشري يقوم في الأساس على قاعدتين مهمّتين : **الأولى فيهما** أن الحياة مبنية على غاية يريدها الله للخلق ، ومن ثمّ فإن الكائنات جميعها تتحرك صوب تلك الغاية ، ونجد ذلك في مواطن متعددة من كتاب الله الخالق ومن نماذج ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ **الذاريات 56** ، وقوله جلّ شأنه :﴿ **هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ.**﴾[22] ، **وهي آية** تدعوا لتحقيق العبودية لله الخالق ، وأن تلك العبودية لا تربط بطقوس تؤدى وفقط بل ارتباطها الأوثق بالسلوكات الظاهرة بين المجتمع والتي تأخذ في حسبانها الترابط الوثيق بين الإنسان وما يحيط به من كون مرئي وغير مرئي ، لذلك نجد النص القرآني يركز على مصطلح الإعمار في الأرض والذي نرة بأنه أشمل من مصطلح الحضارة التي يكابد الإنسان من أجل إقامتها ، لاعتبار الحضارة كمصطلح مرتبطة بالحضر أي الحواضر من حيث البعد المكاني ، بينما الإعمار يتعدى الحواضر إلى كل مكان يستطيع أن يبلغه الإنسان فيما أريد له في هذه الحياة ، ويتنوع في عمقه ليشمل كافة مناحي الحياة ، وقد فسّر بن كثير الدمشقي آية الإعمار تلك بقوله: «استعمركم فيها» أي جعلكم عُماراً تعمرونها وتستغلونها[23] ، والإنسان لن يستطيع أن يحقق مسألة الإعمار تلك إذا لم يرتق بنفسه إلى المصاف القادر على تحقيق ذلك ، والذي لن يتأتى له ، مالم ينهض في تنمية ذاته ومن ثم مجتمعه ،

22 ـ سورة هود ، الآية: 61

23 ـ إسماعيل ابن كثير ، التفسير ، ج.2 ، دار طبنة ، 2002 ، ص.406.

وبالتالي يهيئ البيئة الملائمة لتحقيق الإعمار الحق الذي أراده الله حينما خلق هذا الإنسان وما ارتبط به من حياة ، خصوصا وأن الله لم ولن يدع الإنسان لوحده، في مسألة تحقيق ذلك الإعمار، باعتبار أنه أمدّه بكل الآليات التي بإمكانها أن تهوّن عليه سبل تحقيق ذلك ، مصداقا **لقوله تعالى:**﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَـادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ**﴾[24]،**وقوله أيضا:**﴿**هوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾[25] .

أما الثانية فقد حذّر فيها القرآن من الجمود وانتظار المتغير ، مكرّسا ذلك مبدأ قوامه أن الإنسان هو الفاعل التاريخي وهو الجوهر المتحرك في هذه الحياة ، والوحيد الذي أنيطت له مهمّة إعمار هذه الأرض ، وأن ذلك لن يتأتّى دون تحرّك وتخطيط وحسن تدبير، لأن ذلك هو الأرضية التي يتحقق من خلالها مشروع الإعمار الذي أراده الله.

ويزيد الوحي القرآني في تحرير ذلك العقل العربي ومن ورائه العقل الإنساني برمته بدعوته إلى ضرورة التعرف على ذات الإنسان واستقراء ماضيه والتحكم في بيئته كمكان لتحقيق غاية ، لأن ذلك هو الكفيل بفهم مبدأي الغاية والفاعلية اللتان أشرنا إليهما ، ولا أدلّ على ذلك من قوله تعالى: ﴿ **وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ ، وقوله : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ**

24 ـ سورة لقمان ، الآية:20

25ـ سورة الملك ، الآية: 15

بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[26].

وقد كرّست هذه الآية الأخيرة بأن رسالة الله واحدة منذ أن خلق سيدنا آدم عليه السلام ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، والتي جعل لها شعارا تكرر كثيرا في القرآن ، وهو إخراج الناس من :﴿ **مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** ﴾ وهي آية ابتدأت بغاية ينبغي أن تحقق في هذه الحياة هي ثمرة إعمار هذه الأرض سيمتها **النور بعد الظلام** في كل مجالات الحياة الجامعة بين الفكر و الواقع العملي المعاش ، واستوت الآية بما يربط تلك الغاية بآليات إحداث الإعمار في الأرض من خلال الوقوف على **أيّام الله** بكل ما تحمله هذه الأيام من صور ، وبما تمثله من ركيزة أساسية لأي بناء نهضوي ، ينبغي إعادة الفهم لها من مختلف المناحي ، وتنتهي الآية بصورة الإنسان الحق الذي اكتسى وتشرب مقومات الإعمار في هذه الأرض .

والملفت هنا في هذه الآية ، أن الله ربط بوثاق لا يستقيم معه الفصل ، بين إحداث رسالة الإعمار تلك ، وتحقيقها لغاياتها المرجوة والمعبر عنها في الوصف القرآني بالنور بعد الظلام ، وبين الزمن كمرتكز أساسي ، لا يحصل ذلك التحقيق إلاّ من خلاله ، حينما قال : ﴿**وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾[27] ، **وقوله تعالى** : ﴿ **قَدْ خَلَتْ**

26 ـ سورة ابراهيم ، الآية:05

27 ـ سورة ابراهيم ، الآية:05

مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[28] ، **وقوله أيضا: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾**[29] ، **وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾**[30].

ومن هنا ندرك سرّ دعوة القرآن الكريم المؤمنين إلى التأمل فيما مضى من أيام الله ، لأجل صناعة رجال يمشون في التاريخ ويعيشون فيه ، لبناء أهدافهم الكبرى[31] ، فالوقوف على الزمن إذن ، بكل أبعاده الثلاث ، ما فات وما حضر وما هو آت ، لهو الكفيل بتشكيل الروح الزكية المنتجة والعقل الناضج المبدع والإرادة القوية المصرّة على تحقيق الأهداف وتحمّل المصاعب وعقبات الطريق في سبيل الوصول إلى غاية الله المرجوة لعباده في هذه الأرض .

28 ـ سورة آل عمران ، الآية: 137

29 ـ سورة الحج ، الآية: 46

30 ـ سورة الروم، الآية:9

31 ـ مالك بن نبي ، مرجع سابق ، ص.52 ، 75

فالزمن إذن ، في شق العبرة ، يدعوا إلى الاستفادة من تجارب الناس والأمم ، حتى لا تتكرر الأخطاء والمزالق ، ومعاودة البناء التاريخي من الأساس الأول كل مرة فاقدين بذلك الجهد والوقت اللذان لا تتحمل الحياة فقدهما ، وفي شق أخذ الحيطة ، مما هو آت من أيام الله ، بالمراقبة والمحاسبة والعمل ، وقد جاء وصف بن خلدون للشق الأول بقوله : (**إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا**)[32] ، وفي الشق الثاني جاء قول الله تعالى : قال تعالى: ﴿ **وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمّ تُوَفّىَ كُلّ نَفْسٍ مّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾[33] ، وقوله جلّ شأنه : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ، يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ، وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ** ﴾[34].

بناء على هذه المبادئ تشكّل للإنسان العربي قوام جديد وعميق في الفهم التاريخي تقوم على الغاية والفاعلية للإنسان في هذه الأرض واللتان لا يمكن تحقيقهما إلاّ من خلال آليتي الزمان والمكان بكل الأبعاد المتاحة لهما ، واللاّفت أن الإسلام حرر العقل العربي بعيد من حيث الزمان وربطه ابتداء ببدء الخليقة وانتهاء بنهايتها وهنا يبرز التصور الإسلامي التاريخي للكون منذ بدء الخليقة وحتى يوم القيامة مع الدعوة الى امتحان الانتباه عند

32 ــ عبد الرحمن بن خلدون ، مصدر سابق ، ص.21

33 ــ سورة البقرة ، الأية: 281

34 ــ سورة الانفطار ، الآيات: 17 ـ 19

الانسان في كل مرّة بما يربط بالعقيدة من هزّات الانتباه : أفلا تتفكرون؟ أفلا يعقلون ؟ إن في ذلك لآيات لذوي الألباب ؟..... وهلمّ جر.

لنخلص إلى أن الإسلام في نقله النوعي للفكر العربي في فهمه التاريخي قد ربط رباطا وثيقا بين العقيدة والتاريخ وهو مستجد إنساني تعدا الفكر العربي إلى الإنسانية عبر مراحلها التي سبقت ، وهو نقلة نوعية للوعي التاريخي من حيث القيمة والغاية بعيدا عن الخيال والأسطورة والخرافة التي كانت سائدة فيه عند كل الشعوب ، كما كرّس الإسلام من خلال البيئة ذلك التفاعل العميق المصيري بين الإنسان والبيئة باعتبارها وسيلة لمعرفة الله ومدى قدرته ، وامتحان لتلك الفاعلية للإنسان في هذه الحياة.

كل ذلك أحدث ثورة حقيقية في التصور التاريخي عند العرب وحفزهم على التساؤل عن تلك الأمم ومواطنِها، وأزمانِها وصلتها ببعضِها أو بالعرب؛ كعاد وثمود، وأصحاب شعيب... إلخ، وبالتالي كان القرآن المحفِّز الأكبر لدراسة التَّاريخ العربي القديم، إلى جانب التَّاريخ العامِّ، في حين كان الحديث النبويُّ الشَّريف المحفِّز للاهتِمام بِجمع وتدوين التَّاريخ الإسلامي.

والمتعمق في البناء الفكري الإسلامي للإنسان قد أوحى إلى بناء عقله التاريخي من خلال مضامين بنائه للسلوك والخلق عند الفرد والمجتمع ، فالله عزّ وجل حينما يدعوا المجتمع إلى صفاء التعامل من خلال التبيّن والتأكّد قبل إطلاق المواقف على الناس حينما يقول ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا**

عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[35] ، وكذلك النبي عليه الصلاة والسلام يؤكد في أكثر من موضع على هذه القيم القواعد ، ومن نماذج ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: **(إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث)**[36]، وقوله أيضا:**(كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما يسمع)** [37].

من هذه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة تشكّلت منطلقات قواعد منهجية تاريخية عميقة عند العرب ، دفعتهم إلى ثورة كبرى في البناء التاريخي كان قوامها التمحيص والتدقيق في الخبر التاريخي قبل اعتماده ، وهو الأساس الذي بني عليه ما يعرف بالمنهج التاريخي والذي كان إبداعا عربيا خالصا لم يستفد العرب في إنشائه من أحد أو شعب من الشعوب مثلما كان لهم في علم النحو ، وقد قيل:(لم يبدع العرب إبداعا عربيا خالصا مثلما أبدعوا في علمي النحو والتاريخ).

ب ـــ الظروف المساعدة في نشأة التاريخ وتدوينه عند العرب بعد نزول الوحي :

بالإضافة إلى البناء الفكري النظري الإسلامي الذي شكّل القواعد القويمة المؤسسة للمنهج التاريخي عند العرب ومن ثم الإنساني ، فإن هناك عوامل وظروف من ما هو أصيل عند

35 ـ سورة الحجرات ، الآية:6 .

36 ـ متفق عليه

37 ـ رواه مسلم وغيره

العرب ومنها ما هو مستجد دفع بالفكر والكتابة التاريخية إلى مدارج لم تصلها الكتابة التاريخية من قبل ومن أبرز تلك العوامل :

1ــ التقويم الهجري عند العرب : والذي يعدّ نقطة الارتكاز للروايات والأبحاث التاريخية حتى تقيد وفق تسلسل زمني ولا تختلط بعضها ببعض ، وقد نشأ عند العرب انطلاقا من عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في الرواية التي تقول[38] بأن سبب وضع التاريخ الهجري هو أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر رضي الله تعالى عنه يقول : (إنا قد قرأنا صكا من الكتب التي تأتينا من قبل أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه ، وكان محله شعبان ، فما ندري أي الشعبانين هو : الماضي أو الآتي؟ فجمع أعيان الصحابة واستشارهم فيما تضبط فيه الأوقات ، وكان فيهم ملك أهواز إسمه الهرمزان ، وكان قد أسلم على يديه حين أسر ، فقال له : (إن لنا حسابا نسميه (ما روز) أي حساب الشهور والأعوام ، وشرح كيفية استعماله ، فأمر عمر بوضع التأريخ ، فاستمر رأيهم على تعيين يوم من أيامه عليه الصلاة والسلام لذلك ، فجعل مبدأ الهجرة من مكة إلى المدينة إذ بها ظهرت دولة الإسلام ، وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : (ذكر الله التاريخ في كتابه لأن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخط ، ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير ، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان على حاله الأول ، فنزل قوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ، قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**

38 ــ ويدجري آلبان ، مرجع سابق، مقدمة المترجم ، ص.9

﴾[39] ، وهي جمع هلال ، (قل هي مواقيت للناس) أي في دينهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم ومدد حواملهم ومحل ديونهم وأجور أجرائهم ، وغير ذلك من الشروط إلى أن انتهى الى أجل معلوم . [40]

2ــ علم الأنساب: والذي شكّل قاعدة مهمّة في الكتابة عند العرب ، وقد اهتموا به اهتمامهم بحياتهم لأنه جزء من عصبيّتهم القبلية ؛ ومصدر الثقة والإلهام لهم في شؤون حياتهم فهو الذي يغذي الشعراء في ميادين الفخر والهجاء وهو الذي من خلال الأيام يحفظ أخبار العرب ومعاركهم[41] ، ولما جاء الإسلام عمّق الاهتمام بالنسب وربطه بالعقيدة من خلال الدعوة إلى ذوي القربى وصلة الرحم والإحسان إليهم ، من خلال قوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ**﴾[42] ، وفي قوله تعالى: ﴿**وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ**﴾ [43] ، وقوله تعالى ﴿ **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾ [44] ، وقد خاطب القرآن الكريم الناس بقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا**

39 ـ سورة البقرة : الآية 189.

40 ــ شمس الدين السخاوي ، مصدر سابق ، ص.18 ،35

41 ـ مصطفى شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979م، 65

42 ـ سورة البقرة، الآية 215.

43 ـ سورة البقرة، الآية 177.

44 ـ سورة ا لشعراء، الآية 214.

وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّاللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [45] ، كما برزت الدعوة إلى النسب من قبل النبي عليه الصلاة والسلام من خلال أحاديثه الشريفة ، كقوله عليه الصلاة والسلام **(تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإنّ صلة الرحم محبّة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأجل، مرضاة للرب)** ، فالإسلام إذن شدّد على التعرف على النسب حسب أحكام الشريعة فرضا وواجبا لكي يتعرف فيه الإنسان على محارمه في النكاح، وأن يتعرف على كل ما يتصل به من رحم يوجب ميراثًا أو يلزمه صلة أو نفقه عليه[46] ، وعزّز ذلك كله اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب بتدوين أسماء المحاربين وأهليهم حسب قبائلهم أعطى للأنساب أهمية جديدة، وكان حافزًا إضافيًّا للاهتمام بهذا الجانب الاجتماعي والتي تعدّ البدايات الأولى في العصر الإسلامي وتشجيعًا كبيرًا لعملية التدوين التاريخي. حيث أصبح لكتب الأنساب قيمة في كتابة التاريخ العربي، وأنّ هذه الأهمية تتمحور من خلال تثبيت استمرار النوع البشري من خلال تأكيد سلسلة الانتماء ما بين الابن إلى الأب والأب إلى الجد وهكذا؛ فهي إذن دلالة بشرية تبحث في كيفية تكاثر البشر من خلال الزواج وأشكاله ونظام القرابة الذي يؤسسه نظام الزواج، ودلالة زمانية قوامها الوعي باستمرار الزمن وتقسيمه على أساس الأجيال ، ومن خلال هذه المصاهرة ينتج عرضيا متحقق معرفي جوهره تطور أشكال التنظيم الاجتماعي انطلاقًا من

45 ـ سورة الحجرات، الآية 138

46 ـ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، دار المعارف، مصر، 1977م، 2/1، ابن حزم، المصدر نفسه، 2/1.

15

العائلة وشكل الاتساع القرابي ومستوياته (الشعب – القبيلة – البطن – الفخذ) [47] ، وانبنى على كل ذلك عملية التدوين في الأنساب ، ليصبح فرعًا أساسيًّا من فروع التاريخ حتى ظهرت تواريخ خاصة على أساسه[48] ، كالنسب الكبير لهشام الكلبي (ت204هـ) و(نسب قريش) لمصعب الزبيري (ت236هـ). وكان من الطبيعي أن يكون النسابون الأوائل هم في الوقت نفسه من الإخباريين الأولين كمحمد بن السائب الكلبي وابنه هشام وهيثم بن عدي[49] ، وحين انصرف النسابون إلى جمع المادة وتسجيلها جمعوا معها ومن حولها الكثير من المادة التاريخية التي دخلت التاريخ من أوسع أبوابها. ولعل أول خط تاريخي كتب في صدر الإسلام إنما كان في علم النسب، وكان على يد أولئك ، فعهد إليهم بوضع سجلات الأنساب التي أنشأها الذين أتى بهم الخليفة عمر بن الخطاب وهم ، وقد قدّم ذلك خدمة جليلة لتطور الكتابة التاريخية عند علماء الإسلام سواء في المادة أو في خطة الكتابة[50] .

3 ــ الشعر والأدب : باعتبارهما من روافد التاريخ الأبرز عند العرب فالشعر مثلا عدّ ديوان العرب الأبرز ، وسجلها الموثوق الذي حفظ أدبهم وتاريخهم وأنسابهم، وهو الذي جعلهم

47 ـ مصطفى شاكر ، مرجع سابق ، ص.66.

48 ـ ابن النديم : أبوالفرج محمد بن أبي يعقوب ، الفهرست، طهرا30ـ الحديثي، القيمة التاريخية لكتب الأنساب، 86

49 ـ أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، دار النشر للجامعيين، بيروت ، 1957 .، ص.548، 549.

50 ـ عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت (لبنان) ، 2005 ، ص40 .

يعرفون القصة التاريخية ويتناقلونها مبكراً، جاعلا بذلك المادة التاريخية جزء من حياة العرب ، فيما أطلق عليه بالتاريخ المنقول بالمشافهة سواء كان ذلك شعراً خالصاً أم نثراً تتخلله الأشعار، والشعر في كلتا الحالتين هو الذي حافظ على تناقل الخبر وانتشاره، كما كان الشعر يمثل السياق القبلي لتدوين التاريخ ، واستمرت العلاقة بين الشعر والخبر التاريخي خلال التدوين التاريخي العربي الإسلامي، فهما توأمان في البناء الهيكلي للخبر التاريخي وعرضه، وظهرت بعض سمات الحس التاريخي من خلال الروايات التي دونت في العصر الإسلامي، ولهذا عد الشعر في نظر كثير من الباحثين رافدا مهما لا يمكن الاستغناء في الروايات التاريخية ، وأبرز الخليفة عمر بن الخطاب مدى أهميته بقوله : (كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه) ، ومقولة ابن عباس: إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر، فانه ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب، وعرفت المآثر، ومنه تعلمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله وغريب حديث رسول الله (ص)، وحديث صحابته التابعين[51].

4 ــ العوامل المستجدة وظهور علمي التفسير والحديث : وكل ذلك دفع بالاهتمام التاريخي عند العرب مراتب مهمة ، ومن أبرزها الاهتمام اللافت للخلفاء وذوي السلطان والعلماء بالتاريخ بأشكاله المختلفة وبقصد مباشر أو غير مباشر ، كالاهتمام بتفسير القرآن والتعمق فيه والذي عدّ في جوانب كثيرة منه ضربا من ضروب البحث التاريخي ، وكذلك

51 ـ أحمد الناجي ، مجلة الحوار المتمدن ، العدد 2342 2008 ، محور الأدب والفن .

علم الحديث في مضامينه ومنهجه ، باعتبار أن الذين تعمقوا في دراستهما تعترضهم عقبات كئود من أبرزها النقص الحاد في كثير من المعارف والمعلومات التي لم يتعمق القرآن ولا الحديث في تفصيلها ، مما يضطر متناوليها إلى البحث على ملأ ذلك من مصادر أخرى لإيضاح الصورة ، كما فعل كعب الأحبار ووهب بن منبه من خلال عودتهما للتراث العبراني والمسيحي وهو ما أوقعهما في موارد كثيرة ، وأن الاهتمام بالسيرة النبوية أثّر في ظهور أنماط مهمة للكتابة التاريخية كالسير والمغازي مثلما جاء عند عروة بن الزبير وشرحبيل بن سعد (ت123هـ/740م) وعبد الله بن أبي بكر ابن حزم (ت130هـ/ 747م) ، ومحمد بن شهاب الزهري (ت124هـ/ 741م) ، وموسى بن عقبة (ت141هـ/758م) الذي قال عنه الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه : (لا يوجد في المدينة أعلم منه في المغازي) ، وبعده برز محمد ابن إسحاق (ت151هـ/ 761م) كأقدم سيرة تصل إلينا شبه كاملة عن طريق ابن هشام الذي برز أيضا في هذا المجال وغيرهم كثّر.

إضافة إلى كل هذا كان للخلفاء وذوي السلطان عموما دورا كبيرا في الدفع بالاهتمام التاريخي مراحل متقدمة ، فمعاوية بن أبي سفيان مثلا كان يتسامر في مجمل لياليه في التاريخ من خلال تقريبه في هذا المجال لعبيد بن شريه الجرهمي ، الذي كتب له كتابا عنوانه:(الملوك وأخبار الماضين) ، وكذلك طلب أبو جعفر المنصور(ت158هـ) من محمد بن إسحاق الكتابة في السيرة ، وكذلك ما كان بين والي اليمن (خالد بن عبد الله القشري) ومحمد ابن شهاب الزهري ، يضاف إلى كل ذلك العامل المادي كدافع بارز في

تطور الكتابة التاريخية عند العرب ، ومن أبرز معالمه ظهور الورق في بغداد سنة (178هـ).

وإن شئنا أن نضع قاعدة ارتكاز في ظهور المنهج التاريخي فإن منهج أخذ وتدوين الحديث كان قاعدته الأبرز ، باعتبار أن علماء الإسلام قد جعلوا لجمع الحديث منهجا يقوم على أساسين مهمين هم السند والمتن ، حيث اعتبر السند معتمد الحديث لأنه يشتد إليه ويعتمد عليه[52] ، من خلال سلسلة الرواة الذين نقلوا الخبر أو المتن واحدا بعد واحد إلى أن يصلوا بالرواية إلى مصدرها الأصلي[53] ، وقد كان سبب ضرورة الأخذ بالسند والسؤال عنه ما مرّ بأمة الإسلام أيام الفتنة الكبرى ومقتل خليفتي النبي عليه الصلاة والسلام عثمان وعلي رضي الله عنهما أجمعين ، حينما فشا الكذب وظهر الوضع في الحديث ، وقد قال في ذلك ابن سيرين: (لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا : سمّوا لنا رجالكم ، فلينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم) ، وكذلك قول ابن عباس رضي الله عنه : (إنّا كنا نحدّث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام إذ لم يكن يكذب عليه ، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه) [54] بمعنى لا يقبل

52 ـ محمود الطحان ، أصول التخريج ودراسة الأسانيد ، دار القرآن الكريم ، بيروت، ص.157

53 ـ فاروق حمادة ، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل ، دار السلام للطباعة والنشر ، 2008.

، ص. 231

54 ـ رواه مسلم في الصحيح

إلاّ ما يعرف ومن رحم السند ظهر علم الرجال أو ما يعرف بعلم الجرح والتعديل الذي كان له الوقع الأكبر في التحري وتمحيص ما ينقل من حديث أو أخبار عند علماء الإسلام.

أما المتن فهو ما انتهى إليه السند من الكلام بمعنى نصّ الخبر واعتبر علماء الإسلام أن العلة التي تكون في السند قد تكون في المتن ، ومن هنا فإن منهج الحديث قد انعكس بصور أخرى على نشأة المنهج التاريخي وتطور الكتابة التاريخية فيما بعد.

ثالثا ـ القواعد البنائية التي تأسس من خلالها منهج النظرية العلمية في التاريخ عند علماء الإسلام من خلال نموذج ابن خلدون:

المتأمل في الكتابة التاريخية عند المسلمين منذ نزول الوحي وإلى غاية عصر ابن خلدون يجدها تعيش انعكاسا لمسيرة تطور الحضارة العربية الإسلامية ، حيث عاشت الكتابة التاريخية عصر النشأة والتعاظم حينما بلغت مدارج عالية في عصر الإمام الطبري والمسعودي لم تبلغها من قبل ، لتبدأ بعدهما بالتقهقر شيئا فشيئا مع تقهقر الحضارة الإسلامية حتى أصبح في عصر ابن خلدون (القرن 8هـ) عقيما خاليا من كل فائدة ، لكن العجيب أنه في ظل هذه الأجواء العاتمة التي توحي بأن لا حياة في الكتابة التاريخية من حيث الروح والمنهج المعتمد فيها ، بزغ فجر الكتابة التاريخية وبزغت معها أسس الكتابة وقواعد المنهج التي ينبغي أن تكون ديدن أي كتابة تاريخية ، سواء في القراءة أو التحري والاستنباط أو الكتابة والتأليف فيه ، وهو ما جعل لحظة ابن خلدون لحظة فارقة في تاريخ

الكتابة التاريخية ليس عند العرب وحدهم فقط بل للإنسانية جمعها ، لأنها كانت لحظة خلاقة لفجر كثير من العلوم ، شكّلت ابداعا نادرا في هذا المجال ومجالات أخرى لاحقة ، ولكن الذي ينبغي تأكيده هو أنه ما كان لابن خلدون أن يصل لكل هذه المنجزات العظمى لولا تلك القواعد البنائية التي تأسس من خلال منهج تلك النظرية التاريخية ، لأن ابن خلدون انطلق في نظرته للتاريخ بأنه ليس مجرد رواية للأخبار بقصد التسلية أو الإثارة أو إحداث الدهشة عند السامعين بل هو في عمقه: (نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعدّ في علومها وخليق) [55] .

فابن خلدون قبل توصّله إلى القواعد التي يمكن أن نؤسس من خلالها للرواية التاريخية وتدوينها ، قد انطلق من تأمل عميق في الكتابات التاريخية التي سبقته وكان مفتاحه في ذلك العقل السليم ، فوصل أن هناك عوائق كثيرة حالت دون اكتساب الكتابة التاريخية فيمن قبله أصالة ونضجا وإقناعا ، ومردها كلها إلى[56]:

أ ـ **الانحياز** أو التعصب إلى قبيلة أو إلى مذهب معين أو غير ذلك قد حتّم الالتزام به ، وهو ما شكّل مع الوقت نوعا من العصبية له جعلته محورا في الفهم ، وبالتالي محورا في قياس الخبر من حيث القبول أو الرفض ، وفي هذه الحالة أصبح ذلك المذهب أو المعتقد

55 ـ ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص.9

56 ـ محمد طالبي ، منهجية ابن خلدون التاريخية ، ط.1 ، دار الحداثة ، 1981 ، ص.23 وما بعدها.

هو الغربال الذي تصفّى به الكتابة أو نقل الأخبار ، وهو الأمر الذي كساها الضعف والتناقض في كثير من جوانبها.

ب ــ الانقطاع إلى الحاكم أو لذوي السلطان عموما من قبيل الزلفى لهم وهو ما جعل الروايات التاريخية وبالتالي الكتابة حولها تحوّر بما يخدم ذلك الانقطاع والزلفى وهو ما جعل الرواية تبدو ضعيفة مهترئة تغيب فيها الحجة والإقناع .

ج ــ الاكتفاء بالاعتماد على مجرد ما يروى بدون سابق تمحيص يقيني يقود إلى الوقوع في الغلط أو الانزلاق في الوهم .

د ــ المبالغات والولوع بالغرائب كذكر الأعداد والقصص الغريبة وهو طبع إنساني شكّل سهولة التجاوز على اللسان ومنها التبرير لبعض الأعمال وكل ذلك عند ذوي الألباب يظهر الضعف من أول لحظة .

هـ ـ **عدم مراعاة قوانين الطبيعة** كنقل الأخبار المستحيلة الوقوع ، وكذا **الجهل بطبائع العمران** (أي الظواهر الاجتماعية) وكيفية حدوثها ، باعتبار أن للعمران البشري عوارض مثل الطبيعة ، ومن عوارضها سنة التطور.

وبعد وقوف ابن خلدون على كلّ هذه المعوّقات في طريق الإقناع التاريخي ، ناقش مسألة غاية في الأهمية كان لها الدفع الأكبر في إبداعاته المنهجية في التاريخ ، والتي أكّد فيها رغم أهمية قاعدة السند المعتمدة في الحديث للتبين والاقناع في مسائل الخبر ، إلاّ ذلك ينبغي له من ضبط بالنسبة للمسائل التاريخية ، باعتبار أن منهجية الحديث القائمة على نقد

السند عن طريق الجرح والتعديل غير مجدية بمفردها في حصر الحقيقة ، لأنه لا فائدة للسند إذا كان الخبر المنقول خرافة ، وفي مثل هذه الأمور وقع المؤرخون كالطبري والمسعودي وغيرهما ممن لا يختلف إثنان في عدالتهما مثلما أشار ابن خلدون ، واعتبر بأن المرحلة الأولى يجب التأكد ابتداء من إمكانية وقوع الحدث المروي في حدّ ذاته ، وبالوسائل الأنفع والأجدى ، ثم يمكن أن نتجه بعد ذلك لمسألة نقد السند كشرط ضروري ، وقد ضمّن كل ذلك في قوله:(ولا يرجع إلى تعديل الرواة حتى يعلم أن ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع ، وأما إذا كان مستحيلا فلا فائدة للنظر في التعديل والجرح) [57].

بناء على كل هذه المغالط والمعوقات التي وقعت فيها الكتابة التاريخية رأى ابن خلدون بأنه لا ينبغي بأي حال من الأحوال ردّ الصيرورة التاريخية إلى الصدفة والتلقائية بل هي تجري وفق قوانين وسنن يمكن اكتشافها واستنتاجها إذا أحسنّا التأمل في الحوادث التاريخية ، وهو ذات الأمر الذي عاشه ابن خلدون من كل أعماقه ، فخرج للإنسانية جمعاء برؤى أسست لعلم التاريخ ومهّدت بعده لعلوم أخرى نحسبها قد خرجت من رحم الفكر التاريخي ، من خلال تلك السنن التي رأى ابن خلدون بأنها تتحكم في مفاصل البناء التاريخي ، وهي عنده أربعة قوانين :

ـ **قاعدة السببية** : وهي تعني ارتباط العلة بالمعلول ، لأنه ما من حادث إلاّ وله سبب ، فيما يطلق عليه بمبدأ العلية أو السببية كآلية لفهم وتصور الوقائع ، وانطلاقا من هذه المبدأ

57 ـ ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص. 4؟

يمكن تصور طابع ومآل الحركة الإنسانية ، وينبغي أن نؤكد بأن تطبيق هذا المبدأ في ظواهر الحركة الإنسانية لا ينطلق فقط من الظاهر المعلوم كتفسير أوحد بقدر ما يتطلب من يقظة في فهم كنه الحركة الإنسانية التي قد تحدث بعيدا عن الظاهر المعلوم ، وهو الأمر الذي إذا لم يدركه دارسي التاريخ فإنهم قد ينخدعوا بذلك الظاهر في تفسير الأحداث ، وينجروا وراء تصور وفهم لا يقود في النهاية إلى إدراك الحقيقة[58].

ـ **قاعدة التشابه** : ويعني به قياس الماضي على الحاضر فالظروف المتشابهة تنشئ وقائع متشابهة .

ـ **قاعدة التطور** : أي أن الأمور تتطور بتبدل الزمان والأحوال.

ـ **قاعدة المطابقة** : وفيه يوجب على المؤرخ النظر في الوقائع والأخبار على ضوء العقل والطبع السليم ، فما كان معقولا أدخلناه في دائرة الإمكان ، وما كان غير معقولا أدخلناه في دائرة الاستحالة وقلنا ببطلانه ، لذلك نجد فلسفة ابن خلدون التاريخية تعتمد بشكل جوهري على هذه القاعدة ، والتي بها يمكن تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالإمكان أو الاستحالة ، وهي في جوهرها تعود إلى ضرورة الفهم العميق قبل التأريخ لأصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران[59] ، ومن هذا الباب توجه ابن خلدون بكثير الانتقادات لمؤرخين سبقوه في نقل مادتهم التاريخية ومن ذلك تعجبه كيف أن المسعودي ينقل لنا خبر

58 ـ مصطفى داودي ، الربيع العربي بين الذات والاختطاف كيف نفهمه ، مجلة دراسات وأبحاث ، جامعة الجلفة، العدد الأول ، 2012 ، ص.106

59 ـ محمد طالبي ، مرجع سابق، ص.26

بناء الإسكندرية في قصة بعيدة عن منطق معقول ، بل وتعارض قوانين الطبيعة حينما قال بأن الإسكندر لما صدّته دواب البحر عن بناء الإسكندرية و كيف أتخذ صندوق الزجاج و غاص فيه إلى قعر البحر حتى صور تلك الدواب الشيطانية التي رآها و عمل تماثيلها من أجساد معدنية و نصبها حذاء البنيان ففرت تلك الدواب حين خرجت و عاينتها و تم بناؤها في حكاية طويلة من أحاديث خرافة مستحيلة من قبل اتخاذه التابوت الزجاجي و مصادمة البحر و أمواجه بجرمه و من قبل أن الملوك لا تحمل أنفسها على مثل هذا الغرور و من اعتمده منهم فقد عرض نفسه للهلكة و انتقاض العقدة و اجتماع الناس إلى غيره و في ذلك إتلافه[60] ، وفي نقله أيضا لقصة تمثال الزرزور بروما والذي تجتمع إليه الزرازير في يوم معلوم من السنة حاملة للزيتون و منه يتخذون زيتهم ، وانظر ما أبعد ذلك عن المجرى الطبيعي في اتخاذ الزيت ، كل هذه النماذج من نقولات المؤرخين ما كان ينبغي أن تكون لو حققنا مبدأ المطابقة في تقصي الأخبار وتدوينها .

وينبغي أن نؤكد بأن ابن خلدون انطلق لمعرفة السنن الاجتماعية التي يجعل منها المؤرخ معيارا صحيحا يتحرى به طريق الصدق والصواب فيما ينقله ، فإذا به يجد نفسه أمام علم جديد هو علم الاجتماع أأو العمران البشري ، وبالتالي فإنه من رحم التفكير التاريخي ولد علم الاجتماع عند ابن خلدون.

60 - ابن خلدون ، المقدمة ، ص.

المحاضرة الرابعة

عوامل وأسس تطور الكتابة التاريخية في عصر النهضة الأوروبي(15 .19م)

انتقلت أوروبا بعد القرون الوسطى إلى عصر إلى عصر جديد عرف بعصر النهضة الذي تمّيز بمتغيرات جديدة ، كان لها أبلغ الأثر في تطور الكتابة التاريخية عند الأوربيين ، خصوصا أنها كانت قبل هذا العصر بسيطة في مستواها ، لا من حيث التجميع المنظم والمرتب للمصادر ، ولا من حيث غياب العمل البحثي العميق في دراسة وقراءة الحدث التاريخي ، الذي بقيت الكتابة فيه خلال العصر الوسيط تتسم بالتأثير الديني الواضح الذي جعلها تتصف بالخداع والتضليل ، لأنها لا تقوم من حيث القراءة والكتابة والتفسير التاريخ إلاّ من خلال المفهوم الكنسي.

ولكن مع بزوغ عصر النهضة تغير الحال تمام ، وشقت الكتابة التاريخية طريقها نحو العلمية ، وما كان ليحدث ذلك لولا تلك المتغيرات والعوامل التي أسست لبناء فكر تاريخي أوربي جديد ، مؤسستا بذلك القواعد الأساس لبناء فكر تاريخي متجدد .

عوامل وأسس تطور الكتابة التاريخية في عصر النهضة :

يعتبر عصر النهضة الأوربي هو الانطلاقة الحقيقية للكتابة التاريخية المنتجة ، القائمة على أسس وضوابط ، وما كان لها أن تصل إلى هذه المرحلة لولا تلك العوامل التي سبقت عصر النهضة وأسست لتلك الانطلاقة ، ومن أبرزها:

1 ـ الالتقاء الأوروبي الإسلامي من خلال محطات متعددة منها:

أ ـ محطة الأندلس التي كانت قبلة لطلاب العلم ومنطلقا لترجمة العلوم العربية الإسلامية إلى اللغات الأوروبية ، فعندما أراد الأوربيون إلقاء رداء الجهل عن أكتافهم اتجهوا إلى المسلمين يتعلمون منهم ، لأنهم لم يجدوا غيرهم نبراسا للعلوم يستضاء به[61] ، فكانت مدن الأندلس قرطبة و اشبيليا وغرناطة وطليطلة ، مراكز إشعاع تجذب إليها طلاب العلم من شتى البقاع[62] ، وقصة مجيء الأوربيين لإسبانيا وتلقيهم العلوم في جامعاتها أمر معترف به[63] ، باعتبار أن الأوربيين وخاصة الغرب الأوروبي كانت معلوماتهم في مسار العلوم محدودة حتى نهاية القرن الحادي عشر للميلاد /الخامس الهجري ، ولم تكن تتجاوز مختصرات إيزيدور Isidore وبيده Bede وبعض مؤلفات قدامى الرومان[64]، فكان من الطبيعي أن يتجه هؤلاء إلى مراكز العلم في ذلك العصر ، ولن يجدوا ملجأ للارتواء من ذلك المنهل غير بلاد الإسلام ، وبلاد الأندلس خصوصا باعتبارها أقرب مسافة وأكثر بريقا في العلم ، وكان بذلك مسلمو الأندلس أعظم أثرا باعتبار أنهم أهدوا إلى الغرب اللاتيني هباتهم النفيسة في ميادين العلم والفلسفة[65] ، فطليطلة عاصمة الثغر الأوسط لمّا دخلها النصارى (477هـ/1085م) وجدوا في مسجدها مكتبة عربية حافلة بالكتب ، وقد بلغت شهرة من حيث

61 – 1 . نفسه، ص:384–385/جوزيف رينو،مرجع سابق،ص:252/ Beraud,op.cit.P110

62 ـ بشير رمضان البللسي/جمال هاشم الذويب، **تاريخ الحضارة العربية والإسلامية**،دار المدار الإسلامي،بيروت،2002،ص: 350.

63 – زكريا هاشم ، مرجع سابق،ص :379.

64 . محمد سعيد عمران، مرجع سابق ، ص233.

65 – توماس أرنولد،**تراث الإسلام** ، ترجمة جورجيس فتح الله ،دار الطليعة،بيروت،1972،،ط2،ص:105.

هي مركز للثقافة أقصى البلاد النصرانية في الشمال مما جعل طلاب العلم ينجذبون من كل الأنحاء للاستفادة من الدراسات الإسلامية وثقافة المسلمين[66] ،وفي ذلك يقول ابن الحجازي(ت590هـ/1194م) بأن الطلاب الغربيين كانوا خلال الحكم العربي الأموي يتقاطرون إلى إسبانيا لتلقي العلم في قرطبة .

ب – من خلال ترجمات المؤلفات التاريخية إلى اللغات الأوروبية:

ومن هذه العلوم علم التاريخ من خلال ترجمة بعض الأعمال التاريخية إلى اللغات الأوربية ، وقد كان لهذه الحلقة التأثير المباشر على تشكل فكر تاريخي أوربي جديد ، لأنهم وجدوا الهوة واسعة بين الكتابة التاريخية عند المسلمين وكتاباتهم المكبلة بالتفسير والقراءة التاريخية ، ومن أبرز تلك الأعمال المترجمة نجد:

ـ كتابات ابن أصبغ المؤرخ الاندلسي المشهور أحمد بن محمد بن موسى الرازي(274-344هـ/888-955م) المولود بالبيرة ، والذي كان أديبا وشاعرا وخطيبا مفوّها ولقّب(بالتاريخي) لكثرة انشغاله بكتابة التاريخ ، وما تبقّى من كتبه التاريخية يأتي في طليعتها كتابين،كتاب(مسالك الأندلس)الذي يدور معظمه حول صفة الأندلس أي الوصف الجغرافي لشبه الجزيرة الأيبيرية وكتاب(أخبار ملوك الأندلس)وإن جزء لا بأس به منه موجود عن

66 – دي بور،مرجع سابق،ص:424-425/ توماس ،مرجع سابق،ص:354./يحي بوعزيز،مرجع سابق،ص:19/زكريا هاشم،مرجع سابق،ص:328.

صفة الأندلس مترجمة إلى الإسبانية تحت عنوان(Cronica del moro rosis)وهذه القطعة من تاريخ الرازي المعروفة (بالكرونيكا) تتألف من ثلاثة أقسام، الأول(صفة الأندلس) ونصه الإسباني الذي بين أيدينا ترجمه رجل نجهل اسمه عن ترجمة برتغالية قام بها عن العربية قس يسمى(خيل بيريزjil perez) بأمر الملك(ديونيس dinis)(677-725هـ/1279-1325م) وقد أتمها بمساعدة نفر من المغاربة يسمى أحدهم (المعلم محمد) ، وكان خيل بيريز لا يعرف العربية والمعلم محمد المغربي لا يعرف البرتغالية معرفة تامة، أما المترجم الإسباني الذي قام بالنقل من البرتغالية إلى الإسبانية قد تصرف في الترجمة وغيّر وبدّل في بعض المواضيع ، وإن الذي بين أيدينا الآن يبدوا في كثير من مواضيعه غامضا وغير مفهوم بسبب تحريف المترجمين وتصرفهم أو بسبب عيوب في النسخ التي عثر عليها[67].

القسم الثاني من هذا الجزء باللغة اللاتينية وعنوانه(تاريخ إسبانيا منذ وصول إشبان بن ياخت إليها إلى دون رودريجو(الملك لوذريق ومعركته الأخيرة مع القائد طارق بن زياد) وهذا القسم برأي بعض المستشرقين أمثال (رينهارت دوزي r.dozy) و (باسكال دي جانيجوسp.gayangos) من تأليف القسيس خيل بيريز نفسه[68] ، وصنفه من مواد إستقاها من الروايات المتداولة في أيامه و من كتب عربية نقل إليه ما فيها.

67 - . بالنثيا ، مرجع سابق ، ص :197.

68 - ذو النون ، مرجع سابق ، ص : 33-34 .

أما القسم الثالث ويتناول تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى عصر الحكم المستنصر فهو أشبه بأن يكون ترجمة لمختصر لكتاب الرازي وقد رجع المؤلف في تصنيفه إلى المدونة المستعربة(cronica mozarabe) و الصلة الإسبانية (continuatio hispana) .

ومن المؤلفات التي فيها إشارات عربية واضحة هو مؤلف ألفونسو العالم الذي نجد في ثنايا تاريخه العام لإسبانيا (cronica general de espana) مواد عربية وتاريخية

أسطورية ، من بينها قصة زليخة ويوسف وحكاية العالمة دولوكا (doluca) و (الفتاة ترموتla infanta termut) و(الملكة موينني la reina munene) وقصة تكريزا (TACRIZA)[69].

كما ترجم (أربينيوس) كتاب (تاريخ المسلمين) للشيخ (جرجس بن العميد أبو إلياسبن أبي المكارك بن أبي الطيب) إلى اللاتينية وألحق به تاريخ العرب الذي ألّفه (رودريكوس خيمينيس) رئيس أساقفة طليطلة (565-644هـ/1170-1247م) وهذا التاريخ يبدأ بسيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويسرد تاريخ الخلفاء والدولة الأموية والصراع بين العرب في إسبانيا ويعرض خلافة قرطبة وينتهي بلمحة عن المرابطين ، ومن جانب آخر عني

69 – بالنثيا ، المرجع السابق ، ص :574،198 .

(أربينوس) بالتراجم العربية للعهد الجديد (الأناجيل ورسائل الحواريين) وللتوراة (أسفار موسى الخمسة)[70] .

ج-بداية استقرار الوضع السياسي في أوروبا :

لقد عرفت أوروبا ابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي بداية استقرارها السياسي والاجتماعي والثقافي خصوصا وأن الأخطار والتحديات التي كان يمثلها الفايكينج والمجر قد انتهت[71]، كما أن ضغوطات الجبهة الإسلامية في الأندلس وصقلية قد انتهت وانكفأت حول نفسها وباتت في مرحله دفاع بحت دون أي استعادة للمبادرة والقيام بحملاتها المعهودة كل هذا الوضع شجع الأوروبيون على استعادة المبادرة و إعادة المفقود فسقطت صقلية في أيدي النورمان في مطلع النصف الثاني في القرن الخامس عشر ميلادي كما أن حواضر الأندلس الكبرى باتت في يد المسيحيين خاصة طليطلة وقرطبة_وما بقى لهم في الأندلس كله إلا مملكة غرناطة كما خاض الأوروبيون حروبهم الصليبية ضد المسلمين وسيطروا على بيت المقدس وجزءا من بلاد الشام وباتت الثروة في متناول يدهم وهي أولى الضرورات لبناء حضارة عظيمة،فلقد اغتنت مدن كثيرة في أوروبا[72] بسبب بداية تحكم أوروبي في التجارة.

70 – عبد الرحمان بدوي ، مرجع سابق، ص:20.

71 – محمود سعيد عمران ، **حضارة أوروبا في العصور الوسطى**، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 1998، ص: 216.

72 – ستانوود كب ،مرجع سابق ،ص: 121

ومع هذا الاستقرار الذي يعتبر سرا عظيما في التقدم والتطور الحضاري بدأت العقلية الأوربية تتغير وتنضج سواء في الرؤية السياسية المستقبلية التي بدأت تنتقل

من الأنانية الذاتية والعنصرية العرقية والجغرافية إلى ما هو أكبر من ذلك وهو التقارب السياسي وذلك ما نلمحه في الكثير من التحالفات بين الأمراء والملوك من الأنانية الذاتية والعنصرية العرقية والجغرافية إلى ما هو أكبر من ذلك وهو التقارب السياسي وذلك ما نلمحه في الكثير من التحالفات بين الأمراء والملوك الأوروبيين ومن أبرز هذه التحالفات الذي تهمنا في دراستنا هو تحالف ملكة قشتالة إيزابيلا مع ملك ارجون فردناند وما نتج عنه من قوة أوروبية كان لها أبلغ الأثر في تغيير مجرى الكثير من الأحداث لصالحها .وسواء في الجانب الاجتماعي الذي بدأ يتغير بسبب يسر المعيشة وزيادة الخيرات لينتقل عبرها المجتمع الأوروبي من الفقر والعيش في الأكواخ إلى نوع من التحضر و الاهتمام بالمدن وكل ما يجلب وسائل الراحة والطمأنينة .

ومن روح الاستقرار هذه بدأ الأوروبيون يهتمون حقيقة بما وراء عالمهم الأوروبي خاصة الحضارة الإسلامية وما وصلت إليه والتي كان أبرز مراكز إتساعها الحضاري في هذه الفترة بلاد الأندلس التي كان دفعها للحركة الثقافة الأوروبية كبيرا

د . يقظة الفكر الأوربي والتحرر من سلطان الكنيسة :

ومع الاستقرار السياسي والاجتماعي اللذين ظهرا في غرب أوروبا في تلك المرحلة التي كان يطلق عليها عصر الحروب الصليبية أو عصر الباباوات العظام أو الباباوات رجال الدولة قامت تلك اليقظة الثقافية . حيث ما إن انبثقت معالم أواخر القرن العاشر على الأوربيين حتى وجدوا أنفسهم محاطين بأمة إسلامية .حضارية سبقتهم في جميع النواحي الضامنة لخير الإنسان وتقدمه في ماديا ونفسيا فردا ومجتمعا .وإذا كان الغرب قد استطاع دحر المسلمين من خلال توسعه على حسابهم بسبب تخاذل ملوك المسلمين وأمرائهم وتفرق وحدتهم فإن هذا الغرب قد خضع للتيار الفكري العربي لأنه مهّد للعالم كله السبيل إلى يقظة علمية سارت به شوطا بعيدا في الحضارة التي عرفها[73].

هذه اليقظة التي اتسم فيها الأوربيون بالشعور بالحرية وقيمة الفرد وواقعية مستحدثة في تصور الطبيعة المحسوسة.متحررا من سلطان الكنيسة المكبّلة للإنسان والمتسلطة على كيانه وحريته والتي ما أن تركها حتى تحقق به التقدم الفكري والعلمي[74].وبدأ يتلاشى تدريجيا سلطان الكنيسة التي كانت تخدر العقل الأوربي بأن الكتاب المقدس يضم الحقائق كلها وأن كل من ادعى مصدرا آخر للحقائق اعتبرته الكنيسة مارقا وهذا الفهم يختلف تماما مع فهم المسلمين للقرآن العظيم فقد دعا القرآن في الكثير من آياته إلى البحث والعلم والمعرفة الأمر الذي جعل المسلمون ينطلقون مع إيمانهم الكامل بتمام كتاب الله .يسبرون أغوار المجهول

73 – رحاب عكاوي ، مرجع سابق، ص:120.

74 – عصام الدين محمد علي .**أفاق الحضارة الإسلامية الأوروبية** ،نشأة المعارف مركز دلتا للطباعة .الإسكندرية ،ص:444

الطبيعي بالتجريب والتفسير والتحليل العلمي الرائع .ولهذا تحقق للمسلمين السبق الحضاري لشغفهم بالإطلاع على المعارف المعاصرة الخارجية والداخلية بعيدا عن أغلال وتعصب الكنيسة الأوروبية التي تنصّب نفسها عائقا للتقدم العلمي وأعدمت قدرة الإنسان وإرادته في تحصيل والاجتهاد[75].

وبدأت أوروبا بفعل تحررها الفكري تحقق وجودها الجديد الذي بدأ ينبثق شيئا فشيئا على الرغم من ضغط الكنيسة وكانت هناك (خميرة) تعمل فعلا ولم تكن لتهمد حتى يستول في أوروبا الوسيطة اتجاها جديدا في الحياة هو الاتجاه العلمي وغدا جو أوروبا مشحونا بالحماس[76] وما كان لهذا الحماس وهذا التحرر الفكري أن يحقق الطموح بالأحلام بل لابد من الاستفادة بما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من تطور، فقد شعر الأوروبيون بالتأخر العلمي والحضاري الكبير فكان لزاما عليهم العمل من أجل اللحاق بالركب الحضاري ولن يكون ذلك إلا بنقل جوهر هذه الحضارة إلى لسانهم حتى تكون الاستفادة أبلغ وأعمق .

هـ . الاتصال الثقافي بين المسلمين والأوروبيين :

لقد أفاقت أوروبا على صوت فلاسفة وعلماء والإسلام يدرسون هذه العلوم في مساجد إشبيلية وقرطبة وغرناطة وغيرها . وكان الرواد الغربيون الأوائل الوافدون إلى مدارس المسلمين شديدي الإعجاب والشغف بكل ما يستمعون إليه من هذه العلوم في جو من الحرية

75 – نفسه، ص :439

76 – ستانوود كب .مرجع سابق ،ص: 120 _ 121

لا يعرفون له مثيلا في بلادهم ففي الوقت الذي كان فيه علماء يتحدثون في حلقاتهم العلمية ومؤلفاتهم عن دوران الأرض وكرويتها وحركات الأفلاك والأجرام السماوية كانت عقول الأوربيين تمتلئ بالخرافات والأوهام عن هذه الحقائق كلها[77] وقد أفسحت الأمم الأوروبية صدرها للحضارة والعلم العربي واستطاعت أن تفرق بين العلم والسياسة ، فبينما كانوا يحاربون المسلمين سياسيا ، كانوا يفسحون صدورهم للعلماء المسلمين ثقافيا فالتاريخ يدلنا على أن عددا من حكام قشتالة ، كانوا يحيطون أنفسهم بعلماء مسلمين ويستخدمون مهندسين مسلمين ويستمعون إلى موسيقيين مسلمين وكذلك فرد يريك الثاني إمبراطور ألمانيا الذي كان من أنصار ابن رشد بل كان سندا قويا لمترجمي فلسفة ابن رشد في أوروبا وكان الإمبراطور نفسه يعرف اللغة العربية .تعلمها على عربي في صقلية وكان في بلاطة حركة نشطة ليهود يشتغلون بترجمة الفلسفة العربية ، وخصوصا فلسفة ابن رشد ، و فليكون يشتغلون بالرصد بملابسهم البغدادية . وكان ينصر تعاليمهم على الكنيسة[78] .

وتعتبر الأندلس من أعظم المنابع الحضارية التي أخذ منها الأوروبيون باعتبار أنها وصلت ابتداء من القرن العاشر الميلادي إلى أعلى مراتب الحضارة والتطور وغدت قرطبة إحدى عواصم العالم الكبرى بسكانها الذين زادوا على مليون نسمة ومنازلها التي زادت على مائتي

77 – ستانوود كب ، مرجع سابق،ص :81.

78 – إدوارد سعيد،**الإستشراق**،ترجمة كمال أبو ديب،مؤسسة الأبحاث العربية،بيروت،1995،ط4،ص:80-81

ألف مسكن وأضواء شوارعها الليلية التي لم تعرف مثلها مدينة لندن إلا بعد سبعة قرون من ذلك ونتيجة تسامح الإسلام[79].

و . نشاط حركة الاستعراب (أو ما يعرف بالاستشراق) :

الإستشراق أو الدراسات الإستشراقية مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على حركة فكرية واسعة النطاق متعددة الجوانب تعني بدراسة الحياة الحضارية للأمة الشرقية بصفة عامة ، ودراسة حضارة الإسلام بصفة خاصة[80].

ويأتي مفهومه في الأدبيات الغربية باعتباره مادة علمية تتعمق في دراسة الشعوب الشرقية من خلال لغاتها وتاريخها وحضارتها وبذلك أضحى موضوع الإستشراق معترفا به أكاديميا حيث عيّنت له كراسي الأستاذية في كبرى الجامعات الغربية.

ولذلك أطلقت كلمة مستشرق على كل من يتخصص في الآداب الشرقية أو اللغات الشرقية أو المتضلغ في تاريخ إحدى الدول الشرقيةأو حتى الدارس لسوسيولوجية أو أنثروبولوجية هذه الشعوب[81].

---

79 – . أليس جوار فيسكي،الإسلام والمسيحية،ترجمة خلف محمد الجراد،سلسلة كتب عالم المعرفة،ع215،الكويت،نوفمبر 1996،ص:103-104/عبد القادر بخوش،دور الإستشراق في تأزم العلاقة بين الإسلام والغرب، مجلة الإحياء،ع8،كلية العلوم الإجماعية والعلوم الإنسانية،باتنة،1425هـ/2004،ص:401-402.

80 – . أليس جوار فيسكي،المرجع سابق،ص:103-104/عبد القادر بخوش،المرجع السابق،ص:401-402.

81 – ستانوود كب ، مرجع سابق،ص :81.

وإنه مما لا جدال فيه أن الاستشراق له أثر عظيم في العالم الغربي وفي العالم الإسلامي على السواء وإن اختلفت ردود الأفعال على كلا الجانبين وذلك لأن الاستشراق في حقيقة الأمر كان ولا يزال جزءا لا يتجزأ من قضية الصراع الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي ، بل يمكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك ونقول أن الاستشراق يمثل الخلفية الفكرية لهذا الصراع ، وترجع البدايات الأولى للاستشراق لدى الكثير من الباحثين إلى القرن الحادي عشر الميلادي ، وكان دافعه الأساسي هو إرادة التحكم في الصراع الذي دار بين العالمين الإسلامي والمسيحي في الأندلس وصقلية ، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوربيين بتعاليم الإسلام وعاداته ، وقد نشط اللاهوتيون المسيحيون في ذلك الوقت ضد الإسلام وزعموا فيما زعموا أن الإسلام قوة خبيثة شريرة وأن محمدا ليس إلا صنما أو إله قبيلة أو شيطانا ، وغذت الأساطير الشعبية والخرافات خيال الكتاب اللاتين ، ولم يكن الهدف بطبيعة الحال هو عرض صورة موضوعية عن الإسلام ، واعتبروا أن ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من تطور ليس مرده إلى الإسلام وإنما إلى علوم الأوائل خاصة حضارة اليونان ، فكانت هناك إذن مخططات مدروسة ومقصودة للقضاء على الحضارة العربية الإسلامية ، وتفوق المسلمين ، وقد أدركوا أنه لا تقدم يجدي سريعا إلا إذا دمر هذا العقل الإسلامي الناهض ، وسرقت معارفه ونقلت أثاره[82] .

82 – ستانوود كب ، مرجع سابق،ص :81.

وإن اتصال الأوربيين بالعرب في إسبانيا وصقلية والمشرق أكد لهم مدي التفوق الحضاري الإسلامي وأدرك الأوربيون من وراء ذلك أن تحطيم الدين الإسلامي بقوة السلاح أمر مستحيل[83] لذلك أخذ جماعة من الغربيين يعكفون على لغات

الشرق وتاريخه ودينه دراسة واستذكارا وحفظا وتحقيقا وتغلغلا في البحث والتنقيب ، لينفذوا من وراء ذلك إلى الوصول إلى الغاية التي يعملون من أجلها وهي هدم الإسلام من أساسه والقضاء عليه[84] .

لذلك كله كان العمل الإستشراقي رغم طابعه الإيجابي وعمله الكبير في ترجمة عدد هائل من الأعمال الأدبية والفلسفية والعلمية في التراث الأندلسي إلى اللغة الإسبانية ، بجانب حشد كبير من الدراسات الجادة والتي من أكبر مآثرها اكتشاف التأثيرات الإسلامية في كوميديا دانتي الإلهية على يد أثين بالاثيوس ذلك الاكتشاف الذي بهر العالم كله وحرك ضمير الغرب لكي يضع الحضارة الإسلامية موضعها من تاريخه[85].

---

83 – محمود حمدي زقزوق ، **الإسلام والمستشرقون** ، عالم المعرفة ، جدة ، 1985م، ص:71ومايليها/نبيه عاقل،**المستشرقون ويعض قضايا التاريخ العربي والإسلامي**،ع2،الفكر الإسلامي،الجزائر،1392هـ/1972ص:197.

84 – . علي عبد الله الدفاع ، مرجع سابق ، ص: 160/عزوز علي،**المستشرقون وتشويههم صورة الإسلام**،مجلة الصراط،ع1424،8هـ/2004،ص:235.

85 – ستانوود كب ، مرجع سابق،ص :81.

وفي مقابل العمل على إضعاف الإسلام من داخله كان طموح هؤلاء المستشرقون هو التمهيد للعمل التبشيري الذي كان إستراتيجية كبرى لرجال الدين في بداية عصور النهضة ، فجامعة اشبيلية قامت بقصد دراسة اللاتينية والعربية ، والمعروف أن هذه المحاولة جاءت نتيجة لجهود الرهبان الدومينيكان الذين أخذوا يعدون أنفسهم منذ سنة647هـ/1250م لدراسة العربية حتى يتمكنوا من القيام بجهود تبشيرية هدفها نشر المسيحية بين المسلمين والاستفادة من علومهم وحضارتهم[86] وهناك من يسوغ هذا الهوس الديني ، بأن إسبانيا كانت طوال تاريخها ذات نزعة تبشيرية وهذا ما ثبت تاريخيا من قبل الإسبان ، ومن هذا المنطلق أنشئت مراكز إستعرابية في الأديرة والكنائس بالمدن التي استردها الإسبان من المسلمين وكان السبب هو رد الصفعة حسب الكنيسة للمحتل العربي والانتقام من دينه ممثلا في القرآن وتأكيدا لذلك فإن أول ترجمة للقرآن إلى الإسبانية كانت إهداء عام537هـ/1143م على يد روبيرتو دي رتينس بأمرمن القس بدروا البينيرابلي أو بدروا الموقر حملت إهداء إلى القديس بيرناردو يقول (إلى الدعاية ضد الإسلام) [87].

وإنه من أجل تحقيق أهدافه التي ذكرناها سلفا كانوا يقومون بالبحث عن الكتب والمؤلفات الإسلامية ويترجمونها إلى لسانهم الأوربي حتى يمكن الطعن في الحضارة الإسلامية من خلال عمق أفكارها ، باعتبار أن الكنيسة الكاثوليكية أرادت أن تحول المسلمين إلى

86 – . علي عبد الله الدفاع ، مرجع سابق ، ص: 160/عزوز علي،المستشرقون وتشويههم صورة الإسلام،مجلة الصراط،ع1424،8هـ/2004،ص:235.

87 – ستانوود كب ، مرجع سابق،ص :81.

المسيحية وأن تربط الكنائس الشرقية بروما بعد توحيدها ، وللوصول إلى ذلك كان لا بد من تعلم العربية ، وقد أثمر هذا الاهتمام أولا بترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية تنفيذا لفكرة بطرس الجليل Peter de venerable رئيس دير كولوني ، والذي زار إسبانيا عام535هـ/1141م في أعمال كنيسة فأتيحت له فرصة مراقبة بداية الصراع بين المسيحية والإسلام وكان ذلك أثناء حكم الموحدين في شمال أفريقيا وقد استنتج من ملاحظاته أن القوة المسلحة لا تجدي نفعا في محاربة الإسلام وإنما ينبغي اللجوء إلى المنطق العلمي وذلك بفهم الخصم أولا والإصغاء إلى حججه وجدله ، وبما أن القرآن هو المرجع الأول لدى المسلمين فقد وجب على الأوربيين فهمه ، وتحقيقا لهذا الهدف قام بطرس الجليل بتكليف راهب إنجليزي يدعى روبيرت الكيتوني بترجمة القرءان إلى اللاتينية ، وأجزل له العطاء ، وقد لقيت ترجمته رواجا واسعا[88].

ففي طليطلة أسس المبشرون مجلسا للدراسات الشرقية ، وهي أول مدرسة للدراسات الشرقية في أوروبا ، ومن أهم الأعمال التي تقوم بها ، تعليم العربية والعبرية لإعداد المبشرين للنصرانية ، ومن رجال المدرسة البارزين ريموند مارتيني (1230- 1286م) Rey mand martini المعروف بغزارة اطلاعه وإتقانه العربية لغة وكتابة ،ومعرفته للكتب العربية ، فقد ألف ونشر العديد من الكتب ضد الإسلام واليهودية منها نشره لكتاب (خنجر الإيمان في صدور المسلمين واليهود Pusiofide iadver susnauros et judaeos) وهو مديح

88 – ستانوود كب ، مرجع سابق،ص :81.

للنصرانية ، وكتاب (الخلاصة ضد القرآن)،وهو يتقن العربية لغة وكتابة حتى أنه حاول تقليد أسلوب إحدى السور القرآنية[89].

من كل ما ذكرنا فإن التغيير الهائل الذي طرأ على المجتمع الغربي في أواخر العصر الوسيط كان تغييرا جذريا شاملا في كافة النواحي والأنشطة والمجالات ، ففي الوقت الذي انهار فيه الإقطاع باقتصاده الطبيعي ، وقامت المدنية باقتصادها النقدي ، ظهرت شخصية الفرد التي كانت الإقطاعية قد طمست معالمها ، وقامت الممالك المستقلة الحديثة ، والتفت الشعوب حول حكامها ، ونمت القوميات ، وظهرت اللغات الرومانسية التي انبثقت عن لاتينية العصور الوسطى ، كما نشأت الجامعات التي تخرج من بين جدرانها الشباب المثقف المستنير ، ونعني بكلمة مختصرة انتهاء عصر بنظمه وتقاليده وأفكاره ومثله وفلسفته وبداية عصر جديد له أوضاع جديدة مغايرة كانت أسسها ومنابعها الأولى هو العمل على مواكبة التطور الهائل الذي وصلت إليه الحضارة الإسلامية في شتى الميادين ، ولن يتأتى ذلك إلا بالعمل على نقل معالم هذه الحضارة الى اللسان الأوربي وهو ما يمكن أن يطلق عليه عصر الترجمة في أوربا الذي كان أساسا داعما للنهضة الأوربية الحديثة .

89 – فيليب حتي ، مرجع سابق،ص: 200/لويس يونغ، العرب وأوروبا،ترجمة ميشال الازرق،دار الطليعة،بيروت،1979، ص :10 . 13 .

ي ــ ظهور شخصيات مميزة :

ومن أبرز هؤلاء ليوناردو دافينشي ، ما يكل انجلو ، كريستوفر كولمبس ، فاسكو ديجاما ، إسحاق نيوتن ، ديكارت ، كوبرنيكوس ، جاليلو.

وقد كان لهم الفضل الكبير في تطور نمطية الكتابة التاريخية ، بما كانوا يكتبونه ويسجلونه من أحداث ورؤى شخصية .

م – حركة الكشوفات الجغرافية :

كان لحركة الكشوفات[90] الجغرافية تأثير كبير وإن كان غير مباشر على الكتابة التاريخية ، وذلك نظرا لما صاحب هذه الحركة من تغييرات فكرية واجتماعية .

كما كان لهذه الحركة نتائج مباشرة في الكتابة التاريخية التي كتبها أولئك الذين تناولوا موضوع الكشوف ، حيث بدأت معهم الكتابة التاريخية تنتقل من طريقة الحوليات التي لم تعد مناسبة بالنظر للحوادث التاريخية المعالجة والتي تتطلب وصفا شاملا لا مجرد تأريخ الحدث ، ومس التأثير الشكل والأسلوب وامتدت الكتابة في وصف ب وسلوكاتها.

90 – أنظر : مصطفى السباعي .**من رائع حضارتنا** ،ص:67/ . أحمد أمين .مرجع سابق ،ص: 288،307 / زيغريد هو نكه .**شمس العرب تسطع على الغرب** ، ترجمة فاروق بيضون .وكمال سوقي ،بيروت ،*1964 ،ص: 499، 502*

وظهر أثر الكشوفات أولا في أدب الرحلات الذي أنتجه رحالة العصور الوسطى ومغامروها في القرنين 13 / 14 الميلاديين ، ومن أشهر هؤلاء :

ـ ماركو بولو عن رحلاته (1254 ـ 1324م)

ـ كريستوفر كولومبس

واللافت على كتاب الرحلات أنهم يكثروا من تمجيد الغزاة.

كل هذه الظروف كان لها بالغ الأثر على تطور الكتابة التاريخية انطلاقا من عصر النهضة الأوروبي الذي كان الشعار فيه: (العودة إلى النص) ثم القيام بالمقارنة والنقد والتمحيص ...

وظهرت بذلك مدرسة النقد التاريخي وعلى رأسها (فالا 1406 ـ 1457) والذي تصدى في سنة (1940) للرواية التاريخية المعروفة بـ (هبة قسطنطين الكبير) (306 ـ 337م) والتي عهد فيها للبابوات بحكم روما وإيطاليا كلها ، ولكن (لورونز وفالا) برهنا على أن هذه الوثيقة زائفة.

وظهرت مدرسة تاريخية ايطالية ذات طابع سياسي وقومي وكان من أعلامها:

ـ ميكيافلي (1468 – 1527)

ـ فرانسيسكو جويتشارديني (1483 – 1540)

ـ في القرن 17م ظهر فرانسيس بيكون (1561 – 1626م) والذي دعا إلأى معرفة العلاقات العلية (السببية) بين الأحداث التاريخية.

المحاضرة الخامسة: المدرسة المادية التاريخية

(مرتكزاتها ، مفاهيمها واتجاهاتها)

تعتبر (المادية) من أهم الخصائص التي ميّزت الحضارة الحديثة والمعاصرة ، خاصة الحضارة الغربية التي شكّل لها البعدّ المادي الميزة الأكبر على شتى الصّعد والمستويات، سواء السياسية منها أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو حتى العلمية ، حتى باتت المادية تشكل رؤية تصورية تعدتّ الواقع المحيط إلى منظومة الكون برمته ، وهو ما أسماه المفكر الجزائري مالك بن نبي:(الإجابة على الفراغ الكوني)، فيما يعرف بالتحليل الوجودي وقد لخصها بقوله : (إذ يعتزل الإنسان وحيدًا، ينتابه شعور بالفراغ الكوني. لكن طريقته في ملء هذا الفراغ، هي التي تحدد طرز ثقافته وحضارته; أي سائر الخصائص الداخلية والخارجية لوظيفته التاريخية. وهناك أساسًا طريقتان لملء الفراغ، إما أن ينظر المرء حول قدميه، أي نحو الأرض، وإما أن يرفع بصره نحو السماء)[91] ، في إشارة إلى أن النظر إلى الأرض يجعل الإنسان يتعلق بالأشياء وبالمادة، وهو ما ميّز الحضارة الغربية التي غلب عليها التصور المادي. وبات الفكر الغربي كما قال مالك بن نبي يجنح إلى الدوران حول مفهوم الوزن والكم، وهو عندما ينحرف نحو المغالاة يصل حتمًا إلى المادية في شكليها: الشكل البورجوازي للمجتمع الاستهلاكي، والشكل الجدلي للمجتمع السوفياتي)، وصارت بذلك الحضارة الغربية من فرط ماديتها تقيس التقدم الاجتماعي وسعادة البشر بمقدار ما يملكون من أشياء. وحسب الدخل الفردي تُصْدِر الهيئات حكمها وتقييمها بتقدم هذا المجتمع وتأخر الآخر.

91 – مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي،دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان/ دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 2002، ص.17.

ومثلما ذكرنا فإن المادية قد انعكست على مجالات الحياة حتى في جانبها العلمي الذي بنيت نظرياته على البعد المادي كمنهج إقناع وحيد وبنائي ، ومن ذلك الكتابات التاريخية التي بدأت تنهج من حيث القراءة والتفسير النهج المادي في فهم الوقائع وحتى التنبؤ بصيرورتها،

ولكن قبل الخوض في جوانب ومضامين هذه المدرسة المادية لا بدّ أن نقف على مفهوم المادية الغربية .

مفهوم المدرسة المادية:

تأسست المدرسة المادية على القول بأن المادة هي العنصر الخلاّق والمُطور لكل الأشياء، سواءً أكانت ظواهر طبيعية أو اجتماعية، كما أكدت على أن أصل الكون عنصر مادي بحت ، ويعتبر الفلاسفة اليونان في ذلك هم الأوائل الذين أسسوا لحركة التفكير المادي

، وفي ذلك يعدّ التفكير الطاليسي (الفيلسوف طاليس) هو أولى إرهاصات الفكر المادي الفلسفي ، والذي رفض فيه التفسير الميتافيزيقي للعالم السائد في الميثولوجيات المصرية والبابلية واليونانية محاولاً تقديم مفهوم مادي جديد للعالم جاعلاً من الماء جوهر للعالم، باعتباره المادة الأولى التي نشأ عنها العالم المادي، وبذلك عدّ الفيلسوف طاليس مؤسسا للفلسفة الأيونية المادية في العالم اليوناني[92].

92 – مصطفى حسن النشار،فكرة الألوهة عند أفلاطون،مكتبة مدبولي،القاهرة، ط2،ص 39.

وبعده جاء الفيلسوف إنكسمندر الذي يعتبر أول من كتب بحثًا عن الطبيعة باللغة الإغريقية متابعًا التصورات المادية لسلفه معتبرًا أن جوهر الوجود هو مادة غير محدودة ولامتناهية وعنها نشأت المواد الجزئية المحسوسة ، ثم جاء إنكسمانس بتصور أحادي جديد للعالم المادي رافضًا التصورات الجدلية معيدًا العالم مرة أخرى لجوهر واحد هو الهواء الذي منه تنشأ الأشياء من خلال تكثفه وتخلله حيث يقول بأن "الجوهر الأول واحد لانهائي ولكنه محدد الكيف، إنه الهواء، منه نشأت الأشياء الموجودة والتي كانت موجدة والتي سوف تكون، ومنه نشأت الآلهة وما هو إلهي وتفرعت باقي الأشياء"[93] .

لتتطور النظرة الفلسفية للعالم المادي مع الزمن حتى نصل إلى فيلسوف قلب التصور الأحادي الجامد للعالم الذي تحدث عنه آخر أقطاب المدرسة الأيونية، إنه الفيلسوف هيرقليطس الذي أعاد الطابع الجدلي للعالم بصيغته الأكثر تطورًا، وهو وإن كان أظهر جهلاً علميًا معرفيًا كبيرًا للعالم عندما ظن أن غروب الشمس سببه انطفاؤها بالماء وهي تتجدد كل يوم وبأن قطرها قدم واحدة كما يبدو للنظر ، وهو بذلك يؤكد بأن الأشياء هي دائمًا في تغير متصل ، وصيرورة دائمة وبدون تلك الصيرورة لم يكن هناك شيء ، وبهذه الفكرة وضع هيريقليطس ديالكتيك نظري للطبيعة، وتبعه أرسطو ، الذي كان يرى بأن العالم الحقيقي هو العالم الواقعي المادي، أما العالم المثالي فهو غير موجود. وأن الحقيقة لا توجد سوى في العالم الذي نعيش فيه وخاصة في الجواهر التي تدرك عقلانيا. ولا توجد الحقيقة في

93 – بريوشينكين، الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة، ترجمة: حسان ميخائيل اسحق، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 2006، ص.44.

الأعراض التي تتغير بتغير الأشكال. أي أن الحقيقي هو الثابت المادي، أما غير الحقيقي فهو المتغير المتبدل. وأعطى أرسطو بذلك الأولوية لما هو واقعي ومادي على ماهو عقلي وفكري. ومن هنا عد أرسطو الفيلسوف المادي الذي اكتشف العلل الأربع: العلة الفاعلة والعلة الغائية والعلة الصورية الشكلية والعلة المادية. فإذا أخذنا الطاولة مثالا لهذه العلل الأربع، فالنجار يحيل على العلة الفاعلة والصانعة، أما الخشب فيشكل ماهية الطاولة وعلتها المادية، أما صورة الطاولة فهي العلة الصورية الشكلية، في حين تتمظهر العلة الغائية في الهدف من استعمال الطاولة التي تسعفنا في الأكل والشرب[94].

أما في فترنا الحديثة والمعاصرة ، فإننا نجد إحياء للاتجاه المادي من جديد بعد مرحلة القرون الوسطية التي كان لا فهم فيها ولا تصور إلاّ بناء على الفكر الكنسي ، ومن أشهر من أحيوه الفيلسوف **(فيور باخ)** في القرن الثامن عشر ، الذي كان يرى بأن المادة والحركة تتمان بصورة ميكانيكية متواترة.

لتستحكم المادية المعاصرة مفهومها من خلال تصورات ماركس وانجلز ، اللذان رغم انطلاقهما في مفهومهما المادي من ما ذهب اليه (فيورباخ) ، الذي ينظرون إليه باعتباره الفيلسوف الذي أعاد المادية إلى صوابها، إلا إن ذلك لا يعني أن مادية ماركس وانجلز

94 – عبد العزيز الشرقاوي ، الذكاء بين النوعية والشمولية ، دار المعارف ، 2015 ، ص.49.

متطابقة مع مادية فويرباخ ، باعتبار أنهما أخذا منه "لبها" الداخلي وطوراه إلى نظرية المادية العلمية الفلسفية [95].

المادية التاريخية :

كل هذا المفهوم المادي الذي ذكرناه انعكس بصفة مباشرة على فهم منظومة الحياة بكل جوانبها ، بما فيها الجانب العلمي الذي يؤسس لذلك الفهم وبناء عليه ظهرت المدرسة المادية التي لا تدرس التاريخ إلاّ بناء على المفهوم المادي باعتباره الجانب الملموس الأقرب إلى الفهم ومن ثم الإقناع ، بعيدا عن المثالية والميتافيزيقا مثلما يذكرون أو ما يعرف عندنا بالدين كأساس في فهم الحياة ، وقد أخذت هذه المدرسة التاريخية صيتها على يدّ الفيلسوف الألماني (كارل ماركس (1818 – 1883)) ، لكن اللافت أن (ماركس) اعتمد في نظريته المادية التاريخية على منهج (هيغل) القائم على الجدل ولكن بطريقة عكسية في المضمون ، إلا أن (ماركس) كان في كل مناسبة وهو يتحدث عن هيغل يقول: (أنا لست سوى تلميذ لهذا المفكر العملاق)[96].

95 – كارل ماركس، مؤلفات، الطبعة الانجليزية، الجزء الاول ص 439 – 442.

96 – عزيز السيد جاسم ، ديالكتيك العلاقة المعقدة بين المثالية والمادية، مرجع سابق، ص.40

فهيغل يرى بأن الطبيعة أو المادة بالنسبة هي مجرّد انعكاس ظاهري للعقل وليست حقيقة مستقلّة بذاتها عنه إذ من غير الفكر(الروح) لا يمكن أن توجد المادة إلا كنقيض _مستدعى_ للفكر و تجسيد له ما يعني أنّ الفكر جوهر للإنسان أمّا الجسد والعالم الخارجي (المادة) مجرّد ظواهر وتصوّرات من صنع العقل البشري ولذلك اعتبر هيغل من صنف الفلاسفة المثاليين لقوله بأوّليّة الفكر على المادة[97] .

أما ماركس وإنجلز فيرون بأن جدل هيغل كان واقفا على رأسه بمعنى أن الصراع عند هيغل هو حول الأفكار ، بينما عندهما الجدل لا يقوم على الأفكار بل في الطبقات المجتمعية ، وأن الأفكار ماهي سوى انعكاس لذلك الصراع ، وبالتالي يرى بأنه أعاد المذهب المثالي الدياليكتي عند هيكل إلى وضعه الطبيعي ، قائم على رجليه بدلا من رأسه وبالتالي نقل ماركس الصراع من الأفكار إلى الطبقات المجتمعية ، ورأى بأن سير الوقائع والتحولات في مختلف جوانبها مردّها البيئة الاقتصادية المادية ، وهي المنتجة لحركة التاريخ ، بخلاف هيغل الذي يرى بأن الفكرة هي مبدعة الواقع وحركة التاريخ[98] .

97 – علي الأحمر، –الديالكتيك– بين هيغل و ماركس، الحوار المتمدن–العدد: 6202، 2019.

98 – عماد الدين خليل (التفسير الإسلامي للتاريخ) الطبعة الثانية، لبنان، ص42.

يقول إنجلز : (إن العالم المادي الذي نحن ندركه بحواسنا والذي نحن جزء منه هو الحقيقة الوحيدة ، وليس المادة من إنتاج العقل بل إن العقل ما هو إلاّ أسمى إنتاج المادة)[99].

تفسير المدرسة المادية للتاريخ:

لقد بشرت الرؤية المادية الماركسية على قرب سقوط نظام الرأسمالية وأن حتمية التاريخ تجعل الشيوعية هي السائدة المنتصرة في النهاية ، حيث ترى بأن التاريخ منذ البداية هو عبارة عن صراع طبقات ، وأن كفاح الطبقات هو الذي يقرر في النهاية مصير المجتمعات.

وأن مفتاح فهم الحركية التاريخية لا يفهم إلاّ من خلال تغيرات أسلوب الإنتاج والتبادل باعتباره أساس التطور[100] .

وبناء على هذه النظرية فإن ماركس يرى بأن العالم قد مرّ بأربع مراحل تاريخية إلى غاية عصره وسيختتم بمرحلة خامسة كعود على بدء ونوجزها في الآتي[101] :

99 – محمد بن عبد السلام الجفائري(مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي) م. س.،ص 168،نقلا عن محمود احمد صبحي في كتابه فلسفة التاريخ./ عزيز السيد جاسم (ديالكتيك العلاقة المعقدة بين المثالية والمادية) بدون طبعة،1982، بيروت، ص30.

100 – محمد فتحي عثمان (التاريخ الإسلامي والمذهب المادي في التفسير...) م. س، ص 17–18.

101 – علي الأحمر، –الديالكتيك– بين هيغل و ماركس، الحوار المتمدن–العدد: 6202، 2019.

المرحلة الأول :

مرحلة الشيوعية الأولى أو المشاعية البدائية ، والتي كان فيها كل ما على لكل من عليها ، لذلك لم ينشب الصراع[102] .

المرحلة الثانية :

مرحلة الرق والتي ظهرت بعد اختراع الإنسان لبعض الأدوات التي يستعين به في حياته ، وكان لهذا التحول ، انتقال للإنسانية من الشيوعية الأولى إلى عهد الرق وانقسم المجتمع بذلك إلى طبقتين هما: (الأحرار والعبيد) ، ومن هنا بدأ ما يعرف بالصراع نتيجة التباين بين الطبقتين[103] .

المرحلة الثالثة:

ابتدأت هذه المرحلة نتيجة تطورات مادية جديدة كان عنوانها الأبرز ظهور الزراعة ، وفيها انقسم المجتمع إلى رجال إقطاع وعبيد أرض كان الصراع بينهما عميق ، وإذا بيعت الأرض ، بيعت بمن فيها من عبيد .

المرحلة الرابعة :

مرحلة ظهور الصناعة ، وفيها بزغت الرأسمالية كعنوان أبرز في منظومة ضبط الحياة المجتمعية في كل جوانبها ، وقد انعكس عن ذلك انقسام أيضا فيه الرأسماليين وهم أقلية

---

102 – السامراني ، نهاية التاريخ من هيغل إلى فوكوياما ، مجلة الفيصل، م.س. ص 109.

103 – السامراني ، المرجع السابق. ص 109.73/ محمد بن صامل السلمي ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه، م.س.ص158.

والعمال وهم الأكثرية وقد نشب عن ذلك صراع بنيت عليه تغيرات جذرية في مختلف مناحي الحياة[104] .

المرحلة الخامسة :

وهي المرحلة التي ستشهد انهيار للرأسمالية وسواد للشيوعية ، وبالتالي سيعود العالم إلى البداية من جديد ، بحيث تختفي الدولة وتنحل الشرطة وكل التنظيمات الضابطة للصراع المجتمع ، لأن مقومات الصراع انتهت ، ولا حاجة للمجتمع لها ، الذي سيعود خلال هذه المرحلة الأخيرة من حياة العالم إلى المشاعة الأولى التي يكون فيها كل ما في الأرض لمن عليها[105] .

القراءة النقدية للمدرسة المادية التاريخية[106]:

من خلال التعمق في البناء النظري لهذه المدرسة في جانبها الفكري ، ومن المقومات البنائية لهذه المدرسة ، يمكن أن نخرج بالرؤية الناقدة لها والتي نوجزها في الآتي :

1 – المدرسة المادية التاريخية أهملت العوامل القومية والعقائدية والمذهبية والنفسية في التأثير وبناء الحوادث التاريخية .

2 – الإقتصاد ليس هو العامل الأوحد لفهم المجتمع وبالتالي تطوره التاريخي .

---

104 – السامراني (نهاية التاريخ من هيغل إلى فوكوياما)مجلة الفيصل، م.س.ص 109.

105 – عبد السلام ياسين (الإسلام وتحدي الماركسية اللينينية) بدون، مؤسسة الايمان، 1978 ، ص 83.

106 – **أنظر:** البوزيدي، مكانة كتابة التاريخ في العالم–المادية التاريخية–، م، س، ص5./ عزيز السيد جاسم ، ديالكتيك العلاقة المعقدة بين المثالية والمادية،، ص98،99./ عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، م. س. ص55.

3 – لا يمكن اعتبار الانتاج ووسائله هو الذي يحدد العلاقة في المجتمع .

4 – المدرسة المادية التاريخية ركّزت على تطور التاريخ الإنساني فقط من خلال تطور التاريخ الأوربي في بناء نظريتهم التاريخية مهملين بذلك باقي الأماكن وكذا مهملين لأسباب أخرى كان لها بالغ الأثر في البناء التاريخي الإنساني .

5 – حاول ماركس محاكاة القوانين المتحكمة في الطبيعة ويعكس قوانين تتحكم في صيرورة المجتمع ، ولكن من منظور مادي بحث .

6 – رؤيته للدين لم تحمل أبعاد المبادئ الدينية الإنسانية في مختلف العصور والأمكنة ، ولكن منطلقها الأوحد في الفهم والحكم هو أوربا (القرو وسطية).

وقد قيل في حق هذه المدرسة بأنها المؤرخ فيها تحول إلى بستاني يرسم الأشجار بالصورة التي يراها لا بالصورة التي خلقت عليها .

المحاضرة السادسة: مدرسة الحوليات الجديدة (ظروفها ومراحلها)

عرفت أوربا منذ بدايات عصر النهضة مراجعات شاملة عنت مختلف مجالات الحياة ، وكان مجال التاريخ من أهم تلك المجالات في المراجعة لاعتبار الانتقال الأوروبي من أسر الفكر الكنسي الذي كان يردّ إليه كل تفسير النصوص بما فيها التاريخية ، ولكن الآن بدأ شعار أوروبا المعروف (العودة إلى النص) بمعنى إعادة قراءة وفهم النصوص من جديد ، وبناء على هذا ظهرت العديد من المدارس التاريخية مثلما ذكرنا من بينها مدرسة الحوليات في القرن العشرين .

فماهي مقاصدها ؟ وعلى أي أسس منهجية قامت ؟ وكيف كان توسعها ؟ وماذا قدّمت للدراسات التاريخية المعاصرة ؟

نشأة ومقاصد مدرسة الحوليات :

برزت مدرسة الحوليات في ظل مناخ دولي يتسم بتفاقم الأزمة الاقتصادية التي ضربت الدول الرأسمالية ، وفي وقت تعيش فيه الدول الأوربية أوضاع سيئة بعد الخسائر الجسيمة التى تكبدتها في الحرب العالمية الأولى ، وقد أثر هذا الوضع في شتى المجالات ، بما فيها الجوانب الفكرية ، وبناء علي هذه التطورات ظهرت مدرسة الحوليات ، وهي مدرسة أوروبية فرنسية ظهرت على يدي كل من : **(لوسيان فيفر، ومارك بلوخ)** ، وقد اهتمت هذه المدرسة بالنشاط الإنساني بالخصوص ، وكانت تنطلق من ردة فعلها على توجهات المدرسة الوضعية التي هيمنت على الكتابات التاريخية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين،

والتي استغرقت القراءة التاريخية في بابها الحدثي، وقصرته على معالجة الوثائق، عن طريق النقد والتحليل فقط بعيدًا عن التحولات الاجتماعية التي تعبّر عنها التطورات الاقتصادية والثقافية والعقلية التي ركزت عليها مدرسة الحوليات؛ لتكون بذلك هذه المدرسة من منظور روادها بديلًا عن المدرسة الوضعية[107].

وقد قامت هذه المدرسة وظهرت إلى الوجود من خلال كتابات كل من : (مارك بلوخ) و(لوسيان فيفر) في مجلة حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي (Annales d'histoire économique et sociale)، التي نشأت عام1929 في باريس ، وكانت تلك الكتابات تهدف إلى فتح آفاق جديدة للتاريخ الاقتصادي – الاجتماعي بعيدا عن إرث مؤرخي جامعتَي السوربون وبرلين الوضعتيين ، باعتبار أنهما لم يستطيعا في دراساتهما تجاوز التاريخ السياسي والدبلوماسي الضيق الأفق.

وقد عرف هذا المنحى في البحث التاريخي وهذا النهج في دراسة التاريخ نسبةً إلى هذه المجلة التي عبرت عنه، فاصطلح على تسميته "مدرسة الحوليات"، وإن كانت تسميته "مدرسة النشاط الإنساني" أولى؛ بالنظر إلى اهتمام المؤرخين الملتزمين به بالإنسان، وجعلهم إيَّاه – بجميع نشاطاته وجوانب حياته – موضوعًا رئيسًا لأبحاثهم التاريخية[108].

107 – عبد الله العروي،مفهوم التاريخ،ط4،المركز التقافي العربي،الدار البيضاء المغرب،ص187/ عبد العزيز العلوى الامراني،من تاريخ السرد إلى تاريخ النقد نحو تطوير المعرفة التاريخية في الوطن العربي،مجلة النقد والفكر،

108 – ناصر الدين سعيدوني ، محاضرة : تأثير مدرسة الحوليات الفرنسية في تطور الدراسات التاريخية العربية ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 10 أكتوبر 2018 ، الدوحة.

منهجها :

يرى رواد هذه المدرسة بأنهم تجاوزا النظرة الجامدة التي كانت تقوم عليها المدرسة الوضعية ، التي كانت تتوقف عند عملية نقد الوثيقة ، وتجاوزها مدرسة الحوليات إلى تحليل المعطيات التاريخية المتصلة بجوانب حياة الإنسان ، بعيدا عن تأثيرات المنظور الأيديولوجي ، الذي قامت عليه المدارس الملتزمة ، وبالتالي كانت مدرسة الحوليات منقذة في منظور روادها للدراسات التاريخية التي شهدت في بدايات القرن العشرين في أوروبا أزمة حقيقية سواء من حيث المنهج أو الأسلوب وطرق معالجة الأحداث. ونقلت بذلك مدرسة الحوليات هذه التاريخَ من الأحداث السياسية إلى دراسة النواحي الاقتصادية والاجتماعية وأحدثت بذلك تحولًا عميقا بشأن التاريخ الحدثي – السياسي وتاريخ الوقائع؛ أي تاريخ السرد والحدث والفرد، فذهب فيفر إلى أن التاريخ "الدبلوماسي" مجرد "أحجيات" لخلوّه من الأحداث العميقة، ومن ثمّ يجب تجاوزه إلى تاريخ "اجتماعي" ينطلق من واقع الحياة بشموليتها، وهو التوجه نفسه الذي عبّر عنه الفيلسوف الفرنسي (بول ريكور) بقوله: (إنّ مواضيع "الحوليات" تتصف بالواقعية الاجتماعية الشاملة)[109].

وبالمجمل فإن مدرسة الحوليات اهتمت بالزمن الراهن ، والقضايا الجديدة ، ونستشف ذلك من خلال مواضيع أعداد مجلة الحوليات التي كانت تصب اهتمامها حول القضايا

109 – ناصر الدين سعيدوني ، محاضرة : تأثير مدرسة الحوليات الفرنسية في تطور الدراسات التاريخية العربية ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 10 أكتوبر 2018 ، الدوحة

المعاصرة كالأزمة الاقتصادية العالمية والأوضاع الاجتماعية التي نتجت عنها وما انعكس عنها أيضا من إطار سياسي كظهور النازية .

وقد جاء فيها بروديل بمفهوم جديد للزمن يقوم على التمييز بين ثلاث مستويات رئيسية[110]:

- الزمن الجغرافي (le temps géographie) : وهو زمن المدد الطويلة وزمن البنيات يتميز بتغيره البطيء.
- الزمن الاجتماعي (le temps social) : وهو زمن الظرفيات، وزمن المدد المتوسطة، مثل تاريخ تطور الاقتصاد والمجتمع.
- الزمن الفردي (le temps individuel) : ويطابق زمن الوقائع، والأحداث السياسية كالحروب والمعاهدات وحكم الملوك.

وقد استعانت هذه المدرسة بمجموعة من الأساليب والطرق المستعارة أساسا من العلوم المادية كالمفاهيم الكمية والتقنيات السيكولوجية وأساليب التحليل الحساب وطرق الإحصاء والعينات ، وابتعدت عن السرد السطحي والتركيز علي الأبطال والشخصيات والأساطير والخرافات ، إلي الاهتمام بالمجتمع بكل مكوناته بما فيها الطبقات المسحوقة والمهمشة والطبقة العاملة والكادحة.

110 – أنظر: محمد العيادي،المدارس التاريخية الحديثة ومسالة الحدود بين العلوم الاجتماعية، مجلة أمل،العدد15 ،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،ص88

تأثيراتها :

ومع هذه الحركية والدينامكية والتجديد من طرف رواد هذا الجيل الحولي ، كان لهذه المدرسة تأثيرات مهمة في الدراسات التاريخية في أوروبا وحتى أبعد منها ، سواء على مستوى تخصصات الدراسات التاريخية ، حيث نقلتها هذه المدرسة من إطارها التقليدي في أوروبا إلى أبعاد أخرى تميّزت بالثنائية ، مثل الديمغرافية التاريخية، والتاريخ الاقتصادي الاجتماعي، وبالتالي أصبح التاريخ لا يكتفي في منظور رواد هذه المدرسة من الأخد من العلوم الأخرى بل يعطيها الكثير أيضا، باعتباره بيت الخبرة الإنسانية ومنطلق كل العلوم الإنسانية والدقيقة ، ومنبع معلومات لا يفنى، حيث لم يعد الاختلاف بين الأنثروبولوجي والسوسيولوجي والمؤرخ لايمس المناهج المستعملة وإنما يمس المادة المدروسة ، يدرس الأول المجتمعات البدائية ، والثاني المجتمعات المعاصرة ، والثالث المجتمعات المندثرة ، وتوسعت فكرة الحوليات مع مرور الزمن وتطور التكنولوجيات،حيت يقول عبد الله العروي بأن تأثير هذه المدرسة تجاوز كل الحدود ، وبات لها مدافعين في كل أنحاء المعمور[111].

وقد طرح المؤرخ ناصر الدين سعيدوني عديد التساؤلات بخصوص تأثيراتها في تطور الدراسات التاريخية في العالم العربي .

111 – محمد العيادي،المدارس التاريخية الحديثة ومسالة الحدود بين العلوم الاجتماعية، مجلة أمل،العدد15 ،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،ص84.

فهل كان لها أثر في تجديد المنهج وطرح التساؤلات حول قضايا التاريخ العربي؟ أم هل انحصر أثرها في إبداء الإعجاب من جانب بعض المؤرخين العرب وتتبعهم لما أنتجته هذه المدرسة؟

وخلص المؤرخ ناصر الدين سعيدوني إلى أنّ العالم العربي يعيش أزمةً مضاعفة؛ سواء كان ذلك من حيث المنهج وطريقة المعالجة، أو من ناحية حقول البحث ومضمون الدراسات. وهذا ما أشار إليه بعض المؤرخين العرب، ومنهم قسطنطين زريق الذي نقد استخدام مناهج بلوخ بشيء من الضمنية في كتاباته، وكذلك ما كتبه بعض المؤرخين الأكاديميين لاحقًا من أمثال وجيه كوثراني ووليد نويهض اللذين حاولا التعريف بمنهج مدرسة الحوليات وتوجهاتها، بينما ظلّ مجمل الإسهام التاريخي العربي غير متجاوبٍ مع ما طرحته مدرسة الحوليات، وأرجع المحاضر ذلك إلى صعوبة تواصل الدراسات التاريخية العربية بين الجيل القديم المخضرم والجيل الجديد الناشئ، إن لم نقُل انقطاعه؛ فالجيل القديم حافظ على المستوى الأكاديمي باعتماده المنهج التاريخي المستمد من المدرسة الوضعية التي تعبر عنها مؤلَّفات منهجية كثيرة موجهة إلى الطلاب الجامعيين بالبلاد العربية، في حين أنّ الجيل الجديد حاول التعرف إلى واقع الدراسات التاريخية في الغرب، من دون أن ينجح في الاستفادة منها بشأن تجديد مقارباته ومناهجه؛ وهو ما أفضى بالباحث إلى القول إنّ المشتغلين بالتاريخ في العالم العربي ظلوا بعيدين عن تفاعل مثمر وحوار بنَّاء، باستثناء بعض المؤرخين الذين سمحت لهم الظروف أن يمارسوا البحث التاريخي في الأوساط العلمية

الأوروبية، أو أن يحضروا رسائل جامعية بإشراف أساتذة يأخذون بمنهج مدرسة الحوليات وطريقة تناولها ومنظورها[112].

وبالمجمل فإن تأثيرات هذه المدرسة في العالم العربي ظل ضعيفا ، والذين تأثروا بها أو كتبوا عنها قليلا جدا نذكر من بينهم عبد الله العروي، وعبد العزيز الدوري، وحسين مؤنس، وينبغي أن نؤكد بأن الأفكار والآليات التي قامت عليها مدرسة الحوليات ، لا تخلوا من السلبيات والهفوات ، لأن الانفتاح المفرط على باقي التخصصات والحقول دون ترو واتزان من شأنه أن يفقد التاريخ خصوصياته وكينونته ، وقد يفقد التاريخ مميزاته القائمة على المجال والزمن والمجتمع ، ومع ذلك تبقى مدرسة الحوليات الفرنسية من أهم وأبرز المدارس في حقل الكتابة التاريخية قد أعتمدت مناح مهمة في الفهم التاريخي .

جاسم محمد سلطان، فلسفة التاريخ الفكر الإستراتيجي في فهم التاريخ، ط1 ، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع

خاليد فؤاد طحطح ، نظريات في فلسفة التاريخ ، ط1 ، مطبعة الخليج العربي، 2006 .

عبد الله العروي ، مفهوم التاريخ ، ط 4 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، 2005.

112 – ناصر الدين سعيدوني ، محاضرة : تأثير مدرسة الحوليات الفرنسية في تطور الدراسات التاريخية العربية ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 10 أكتوبر 2018 ، الدوحة.

عبد العزيز العلوى الامراني ، من تاريخ السرد إلى تاريخ النقد نحو تطوير المعرفة التاريخية في الوطن العربي ، مجلة النقد والفكر ، العدد 84 ، 2006.

محمد العيادي ، المدارس التاريخية الحديثة ومسألة الحدود بين العلوم الاجتماعية ، مجلة أمل ، العدد15 ،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء ، 1998 .

– مدرسة الحوليات، تاريخ فكري *الناشر:أوديل جاكوب . باريس 2006

المحاضرة السابعة:

المدرسة الوثائقية التاريخية (الألمانية)

ظهرت المدرسة الوثائقية في أوروبا في ظل الحركات القومية التي شهدتها أوروبا خلال القرن 19 م[113] ، وقد ظهرت من رحم الجدل الذي ظهر حول الكتابة التاريخية ، حينما ظهر سؤال : هل يمكن للمؤرخ أن يحقق الموضوعية المطلقة ؟.

وبناء على هذا ظهر جيل من المؤرخين يتبنى فكرة الموضوعية[114]:

المطلقة في الكتابة التاريخية ، والذين رأوا بأن دراسة التاريخ ينبغي أن لا تتم إلاّ بناء على الوثائق وحتى في باب الوثائق خصوا وثائق دون أخرى حينما اعتبروا أن الموضوعية المطلقة لا تحقق إلاّ بناء على الوثائق الرسمية المكتوبة ، وفيها يقوم المؤرخ بتجميع الوثائق وصيانتها وحفظها في دور الأرشيف، واستغلالها بكل تجرد .

ومن أبرز المنادين بذلك المؤرخ الألماني: ليوپولد فون رانكه Leopold von Ranke (1795 – 1886م)[115] ، الذي دعا إلى التمسك بمعرفة الأحداث الماضية من خلال الوثائق لأنه لا يمكن دراسة أي عصر إلا من خلالها مركزا على الوثائق الرسمية و مراسلات الدول وسجلات الحكومات والكنائس والمذكرات الشخصية[116].

113 – حسين مؤنس ، التاريخ والمؤرخون ، دار المعارف ، 1984 ، ص.74

114– عبد المالك التميمي، الموضوعية والذاتية في الكتابة التاريخية المعاصرة، عالم الفكر العدد4 المجلد 29.

115 - Laue, Theodore von (1950). Leopold von Ranke, the Formative Years. Princeton, N.J.: Princeton University Press. p. 230

116 – حسين مؤنس مرجع سابق ،ص.77

باعتبار أن الوثائق هي الوسيلة التي تطلعنا على الماضي وهي الأداة الفعالة والمقنعة التي يعمل بها المؤرخ في إطار علمي ، وقد سبق(رانكه) في هذا الاتجاه المؤرخ الفرنسي "مونود" وذلك من خلال البيان الذي نشره في 1876م بمناسبة صدور العدد الأول من "المجلة التاريخية" عن مبادئ المدرسة المتمثلة فيما يلي :

– فرض بحث علمي في التاريخ بعيد عن كل المزايدات الفلسفية.

– بلوغ الموضوعية المطلقة في مجال التاريخ.

– تطبيق تقنيات صارمة في جرد الوثائق ونقدها .

منهج المدرسة الوثائقية في الكتابة التاريخي من خلال (رانكه) :

خلص رانكه في مهمة المؤرخ في الكتابة التاريخية من خلال اعتماده على الوثائق على الآتي :

1 – على المؤرخ ألا يضيف لمادته شيئا بقصد زيادة سحرها الجمالي أو البلاغي ...

2 – على المؤرخ ألا يصدر أحكاما على الماضي لإفادة الحاضر ولينتفع بتجاربه للمستقبل.

3 – على المؤرخ الاقتصار على ما حدث حقيقة وفق ما أخبرته به الوثائق التي قرأها ، وأن ينكر نفسه كل الإنكار ولا يعبر عن وجهة نظره الخاصة ، وفي هذا قال (رانكه) : (أنا مرآة تتراءى فيها الأحداث كما وقعت بالفعل في الماضي).

وقد كتب رسالة إلى شقيقه (هنريك) جاء فيها": (ليست فكرتي الأساسية هي قبول هذا المذهب أو المذهب الآخر ، أو المذهب الوسيط بينهما ، وإنما فكرتي الأساسية هي معرفة الحقائق والسيطرة عليها وإظهارها).

وخلص إلى أن المؤرخ الحقيقي من أجل الوصول إلى هذه الغاية يجب أن تتوفر فيه ثلاثة خصال :

- نفاد البصيرة (بإدراك الأشياء)
- الشجاعة (ألا يخاف مما يراه)
- النزاهة (ألا يقع في خداع الذات)

وقد سار في اتجاه عديد من المؤرخين أمثال راتزل وهيلموت ، وقوستل ، هذا الأخير الذي قال لمستمعيه : (لا تمدحوني فلست المتحدث ، وإنما التاريخ هو الذي يتحدث عن فمي) وبناء على ما ذكرنا قال المؤرخ الإنجليزي (لورد آكتون (1834 – 1902) :(إن رانكه هو البطل الحقيقي لدراسة الوثائق)[117] .

وقد أحدث الاتجاه التاريخي الوثائقي ثورة في أوروبا للبحث عن الوثائق والمخطوطات، والبحث في الأديرة وغرف التجارة الكنائس وبيوت الأمراء. مما أدى إلى ظهور علم الوثائق فتم إنشاء دور للمخطوطات ومراكز الأرشيف والسجلات. ورغم أن رانكه جعل التاريخ علما

117 – حسين مؤنس مرجع سابق ، ص.80.

قائما بذاته له أسسه، إلا أن اهتمامه بالوثائق الرسمية ومكتبات الدول جعله[118] تاريخا سياسيا وعسكريا أي تاريخ حكام ولم ينتبه إلى النواحي الاقتصادية الاجتماعية، وبالتالي لا يكون هناك تصوير دقيق للماضي ما لم تشمل الدراسة جميع الجوانب [119].

ورغم انكار (رانكه) لعواطفه وترك الحكم من خلال الوثيقة ، إلاّ اللافت من خلال التعمق في شخصيته ، وجود روح دينية مؤثرة في عواطفه والتي تعتبر أنه ليس من حق البشر إصدار أحكام على حركية التاريخ ، لأنها من تدبير الآلهة التي توجهه نحو غاية لا يعلمها إلاّ الله .

118 – هاري إلمر بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية ، ترجمة: محمد عبد الرحمان برج ، ج.2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987 ، ص.56-57

119 – حسين مؤنس مرجع سابق ، ص.78.

المصادر والمراجع المعتمدة :

المصادر:

أولا: القرآن الكريم

ثانيا:

– عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، تحقيق هيثم جمعة هلال ، ط.1 ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ، 2007 .

– السخاوي شمس الدين ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ ، ترح: فرانز روزنثال ، تر: صالح أحمد العلي ، ط.1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1986.

– الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، طبعة فان فلوتن .

– الجواليقي أبو منصور ، المعرب من الكلام الأعجمي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، ط.8 ، مطبعة دار الكتب ، 1969 .

– إسماعيل ابن كثير ، التفسير ، ج.2 ، دار طبنة ، 2002 .

– أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، دار النشر للجامعيين، بيروت ، 1957 .

- أبو الريحان البيروني ، الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تح: إدوارد سخاو ، ليبزج ، 1923 ، ص.29 .

- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، دار المعارف، مصر، 1977م.

- ابن منظور ، لسان العرب ، ج.1 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 2003 .

المراجع :

- ويدجري آلبان ، التاريخ وكيف يفسرونه ، من كنفوشيوس إلى توينبي ، مقدمة المترجم ، ترجمة عبد العزيز توفيق ، ج.1 ، القاهرة ، 1996.

- مصطفى شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979م.

- عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت (لبنان) ، 2005 .

- أحمد الناجي ، محور الأدب والفن ، مجلة الحوار المتمدن ، العدد 2342 ، 2008 .

- محمود الطحان ، أصول التخريج ودراسة الأسانيد ، دار القرآن الكريم ، بيروت.

- فاروق حمادة ، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل ، دار السلام للطباعة والنشر ، 2008.

- محمد طالبي ، منهجية ابن خلدون التاريخية ، ط.1 ، دار الحداثة ، 1981 .

- مصطفى داودي ، الربيع العربي بين الذات والاختطاف كيف نفهمه ، مجلة دراسات وأبحاث ، جامعة الجلفة، العدد الأول ، 2012 .

-جوزيف رينو،مرجع سابق.

Beraud,op.cit.P110

- بشير رمضان البللسي/جمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية والإسلامية،دار المدار الإسلامي،بيروت،2002.

- زكريا هاشم ، مرجع سابق.

- محمد سعيد عمران، مرجع سابق .

- توماس أرنولد،تراث الإسلام ، ترجمة جورجيس فتح الله ،دار الطليعة،بيروت،1972،،ط2.

- دي بور،مرجع سابق.

- يحي بوعزيز،مرجع سابق.

- بالنثيا ، مرجع سابق .

- ذو النون ، مرجع سابق .

- عبد الرحمان بدوي ، مرجع سابق.

- محمود سعيد عمران ، حضارة أوروبا في العصور الوسطي، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 1998.

- ستانوود كب ،مرجع سابق .

- رحاب عكاوي ، مرجع سابق.

- عصام الدين محمد علي .أفاق الحضارة الإسلامية الأوروبية ،نشأة المعارف مركز دلتا للطباعة .الإسكندرية .

- إدوارد سعيد،الإستشراق، ترجمة كمال أبو ديب،مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، 1995، ط4.

- أليس جوار فيسكي،الإسلام والمسيحية،ترجمة خلف محمد الجراد،سلسلة كتب عالم المعرفة ،ع215، الكويت، نوفمبر 1996.

- عبد القادر بخوش،دور الإستشراق في تأزم العلاقة بين الإسلام والغرب، مجلة الإحياء،ع8،كلية العلوم الإجماعية والعلوم الإنسانية،باتنة،1425هـ/2004.

- محمود حمدي زقزوق ، الإسلام والمستشرقون ، عالم المعرفة ، جدة ، 1985م.

نبيه عاقل،المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي والإسلامي،ع2،الفكر الإسلامي،الجزائر،1392ه/1972.

– علي عبد الله الدفاع ، مرجع سابق .

عزوز علي،المستشرقون وتشويههم صورة الإسلام،مجلة الصراط،ع1424،8ه/2004.

– فيليب حتي ، مرجع سابق.

– لويس يونغ، العرب وأوروبا،ترجمة ميشال الازرق،دار الطليعة،بيروت،1979.

– مصطفى السباعي .من رائع حضارتنا .

– أحمد أمين .مرجع سابق .

– زيغريد هو نكه .شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون .وكمال سوقي ،بيروت ،1964 .

– مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي،دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان/ دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 2002.

– مصطفى حسن النشار،فكرة الألوهة عند أفلاطون،مكتبة مدبولي،القاهرة، ط2.

- بريوشينكين، الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة، ترجمة: حسان ميخائيل اسحق، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 2006.

- عبد العزيز الشرقاوي ، الذكاء بين النوعية والشمولية ، دار المعارف ، 2015 .

- كارل ماركس، مؤلفات، الطبعة الانجليزية، الجزء الاول .

- عزيز السيد جاسم ، ديالكتيك العلاقة المعقدة بين المثالية والمادية، مرجع سابق.

- علي الأحمر، –الديالكتيك– بين هيغل و ماركس، الحوار المتمدن–العدد: 6202، 2019.

- عماد الدين خليل (التفسير الإسلامي للتاريخ) الطبعة الثانية، لبنان.

- محمد بن عبد السلام الجفائري(مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي) م

- عزيز السيد جاسم (ديالكتيك العلاقة المعقدة بين المثالية والمادية) بدون طبعة،1982، بيروت.

- محمد فتحي عثمان (التاريخ الإسلامي والمذهب المادي في التفسير...) م. س.

- السامراني (نهاية التاريخ من هيغل إلى فوكوياما)مجلة الفيصل.

- محمد بن صامل السلمي (منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه).

– عبد السلام ياسين (الإسلام وتحدي الماركسية اللينينية) بدون، مؤسسة الايمان، 1978 .

– البوزيدي(مكانة كتابة التاريخ في العالم–المادية التاريخية–) .

– عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، ط4،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء المغرب.

– عبد العزيز العلوى الامراني، من تاريخ السرد إلى تاريخ النقد نحو تطوير المعرفة التاريخية في الوطن العربي،مجلة النقد والفكر.

– ناصر الدين سعيدوني ، محاضرة : تأثير مدرسة الحوليات الفرنسية في تطور الدراسات التاريخية العربية ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 10 أكتوبر 2018 ، الدوحة.

– محمد العيادي، المدارس التاريخية الحديثة ومسالة الحدود بين العلوم الاجتماعية، مجلة أمل،العدد15 ،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء.

– عبد المالك التميمي، الموضوعية والذاتية في الكتابة التاريخية المعاصرة، عالم الفكر العدد4 المجلد 29.

– ويدجري آلبان ، التاريخ وكيف يفسرونه ، من كنفوشيوس إلى توينبي ، ترجمة عبد العزيز توفيق ، ج.1 ، القاهرة ، 1996 ، مقدمة المترجم .

– كب ، علم التاريخ ، ترجمة (ابراهيم خور رشيد ، عبد الحميد يونس ، حسن عثمان) ، ط.1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1981 .

– عفت الشرقاوي ، أدب التاريخ عند العرب ، ج.1 ، القاهرة ، 1976 .

– عبد العليم عبد الرحمن خضر ، المسلمون وكتابة التاريخ ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي و المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1995 .

– محمود الحويري ، منهج البحث في التاريخ ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، 2001 . – حسين مؤنس ، التاريخ والمؤرخون ، دار المعارف ، 1984 .

– كامل حيدر ، منهج البحث الأثري و التاريخي، ط,1 ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1995.

– حسين فوزي النجار ، التاريخ والسير ، المكتبة الثقافية ، 1974 .

– أحمد شلبي ، كيف تكتب بحثا أو رسالة ، ط.6 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1968 .

– حسنين محمد ربيع ، محاضرات في علم التاريخ ، القاهرة ، 1996 .

– محمود الحويري ، منهج البحث في التاريخ ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، 2001 . – نور الدين حاطوم ، مرجع سابق .

– محمد عبد الغني حسن ، علم التاريخ عند العرب ، القاهرة ، 1961 .

– فؤاد زكريا ، التفكير العلمي ، القاهرة ،1996 .

- حسن عثمان ، منهج البحث التاريخي .

- سيد قطب ، في التاريخ فكرة ومنهاج، دار الشروق ، القاهرة ، 2001 .

- كارل بوبر ، عقم المذهب التاريخي ، ترجمة عبد الحميد صبره ، الإسكندرية ، 1959 .

- ويدجري ، التاريخ وكيف يفسرونه ، ج.2 .

- عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1981.

- بتار ولد العربي ولد معط الله ، نشأة التاريخ عند العرب المسلمين ، مجلة الفسطاط ، 2006 .

- Laue, Theodore von (1950). Leopold von Ranke, the Formative Years. Princeton, N.J.: Princeton University Press.

الفهرس العام

المحاضرة الأولى: مفهوم مصطلح التاريخ.....07

المحاضرة الثانية : مواصفات المؤرخ 17

المحاضرة الثالثة : المدرسة التاريخية العربية (مرتكزاتها الفكرية ، ومنهجها العلمي)....24

المحاضرة الرابعة: عوامل وأسس تطور الكتابة التاريخية في عصر النهضة الأوروبي(15

.19م) 49

المحاضرة الخامسة: المدرسة المادية التاريخية (مرتكزاتها ، مفاهيمها واتجاهاتها).....68

المحاضرة السادسة: مدرسة الحوليات الجديدة (ظروفها ومراحلها).....79

المحاضرة السابعة: المدرسة الوثائقية التاريخية 87